روايات مصرية للجيب

قضية القنبلة الزمنية

سلسلة العار بولـ... اب

مغامرات

٤٥

٤ × ٢

WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID

١ ــ الحادثة الغامضة ..

انطلق رنين الهاتف فجأة ، فى منزل (عصام كامل) ، صحفى قسم الحوادث ، فى الخامسة صباحًا ، وبدا فى أذنى (عصام) ، الذى كان يستغرق فى نوم عميق ، أشبهَ بقنبلة دوت وسط سكون الليل ، فقفز من فراشة منزعجًا ، وهتف فى حنق ، وهو يندفع نحو رَدْهة المنزل ، حيث ترك الهاتف :

ــ اللعنة !! سأصاب بانهيار عصبى ، لو أنها مجرَّد (نمرة) خاطئة ..

التقط سمَّاعة الهاتف فى حدة ، وهتف فى صوت حمل كل حنقه وسخطه ، مع بقايا من نوم لم يفارق جفنيه بعد :

ــ من المتحدَّث ؟

أتاه صوت خشن جاف ، يقول :

ــ أأنت الصحفى (عصام كامل) ؟

أجابه (عصام) فى حنق :

ــ نعم .. هو أنا .. هل لى فى أن أسألك بدورى ..من أنت ؟

انتزعت ضحكة ساخرة خشنة بقايا النوم من رأس (عصام) ، وهى تنتقل خافقة قاسية ، عبر أسلاك الهاتف . فقبضت أصابعه بحركة عصبية على سماعة الهاتف فى قوة ، وهو يغمغم متوترًا :

ـــ من أنت ؟ .. وماذا تريد منى ؟

أجابه صاحب الصوت الخشن فى صرامة :

ـــ تمام التاسعة والنصف صباحًا فى ملهى الهرم .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ ما الذى يعنيه هذا ؟ .. أهو موعد ما ؟

أجابه الصوت فى برود :

ـــ على العكس .. إنه تحذير .. لا تذهب إلى هذا المكان ، فى ذلك الموعد بالذات .

سأله فى حدة :

ـــ لماذا ؟

انطلقت الضحكة الساخرة مرة أخرى ، وتبعها ذلك الصوت الخشن الجاف ، يقول :

ـــ لأنه لن يسرك أن تفعل .. بل لن تجد بقية من عمر للتعبير عن أية مشاعر بشرية .

ومرة ثالثة انطلقت تلك الضحكة الساخرة ، التى بدت لـ (عصام) ، فى هذه المرة ، أشبه بقرع أجراس الموت ، حتى أنه لم يبس ببنت شفة ، إلى أن سمع صوت إنهاء المحادثة على الجانب الآخر ، وذلك الإيقاع الرتيب ، عبر أسلاك الهاتف ، الذى يشير إلى عدم وجود اتصال هاتفى ..

وبعد لحظات من الحيرة والدهشة والارتباك ، أعاد (عصام) سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول فى سخط :

ـــ أى هراء هذا ؟

ظلّ واقفًا إلى جوار الهاتف لحظات ، يفكّر فيما حدث ، ويحاول استنباط مغزاه ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، متمتمًا :

ـــ إنه شخص سخيف فحسب ، أوهمه بعضهم أنه أفضل ممثل (كوميدى) عرفه التاريخ ، فراح يسعى لنيل جائزة (الأوسكار) ، على حساب لعبة حقيرة .

زفر فى ضيق ، ولوّح بذراعه فى حنق ، ثم اتجه إلى مطبخ المنزل ، وراح يعدّ لنفسه كوبًا من الشاى ، وهو يحاول طرد ما حدث من عقله ، إلا أن الأمر ظلّ يقلقه بالفعل ، حتى بعد أن انتهى من تناول قدح الشاى ، ووقف فى شرفة منزله لحظات ، ثم عاد يزفر فى حدة ، هاتفًا :

ـ تبًا له .. لقد انتزع النوم من أجفانى بالفعل ، والساعة لم تبلغ السادسة بعد .

اتجه إلى حجرته ، وراح يرتدى ملابسه فى ضيق ، ثم التقط سلسلة مفاتيحه ، وغادر المنزل ، واستقلّ سيارته ، وانطلق بها إلى الجريدة ..

ولقد شعر عم (أمين) ، حارس موقف سيارات الجريدة ، بدهشة حقيقية ، عندما وجد سيارة (عصام) تدلف إلى الموقف ، فى ذلك الوقت المبكر ، فأسرع نحوها ، وهو يهتف :

ـ أستاذ (عصام) ؟!.. يالها من مفاجأة !!.. إنها السادسة والنصف فحسب .

عقد (عصام) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ وماذا فى ذلك ؟

ضحك عم (أمين) ، وهو يقول :

ـ يا له من سؤال !!.. أنسيت يا ولدى أننى أعمل هنا ، قبل حتى أن تلتحق أنت بكلية الإعلام ، وهذه أوّل مرة أراك تأتى فيها ، فى مثل هذا الموعد ، لا أنت ولا غيرك من الصحفيين الشبان .. ولو أنك تأمّلت موقف السيارات ، فلن تجد فيه سوى سيارة رئيس التحرير ، ورئيس قسم الحوادث ، ولولاهما ما جال ببالى لحظة أن آتى فى مثل هذا الوقت .

ابتسم (عصام) ، وغمغم :

ـ أنت على حق .

ابتسم عم (أمين) بدوره ، ابتسامة حانية ، وهو يقول :

ـ الاستيقاظ المبكر نصف النجاح يا ولدى .

تمتم (عصام) :

ـ أنت على حق .

ولوّح بيده فى مرح ، ثم اندفع نحو مبنى الجريدة ، واستقلّ مصعد الدار إلى ذلك الطابق ، حيث قسم الحوادث ، وهناك وجد رئيسه منهمكًا فى مراجعة بعض الأوراق ، فقال فى مرح :

ـ صباح الخير يا سيّدى .

رفع رئيسه عينيه إليه فى دهشة ، وغمغم :

(عصام) ؟!.. أى رياح ألقت بك هنا ، فى مثل هذا الوقت ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـ لقد أتيت بإرادتى .

ثم جلس خلف مكتبه ، وتنهّد فى عمق ، فالتفت إليه رئيسه فى اهتمام ، وسأله فى جدية :

ـ قل لى حقًا يا (عصام) .. ما الذى أتى بك اليوم ، فى هذا الوقت المبكر ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـــ لقد استيقظت مبكرًا .

سأله بمزيد من الاهتمام :

ـــ وما الذى أيقظك مبكرًا ؟

أجابه فى حدة :

ـــ مكالمة .

كاد يكتفى بهذا القول ، ثم لم يلبث أن أكمل بمزيد من الحدة :

ـــ مكالمة هاتفية .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

ـــ وما الذى يضايقك إلى هذا الحد ؟

أجابه فى ضيق ، وهو يلوّح بكفه :

ـــ لأنها مكالمة سخيفة .. شخص تافه اتصل بى فى الخامسة صباحًا ، ليطلب منّى ألا أذهب إلى ملهى الهرم ، فى التاسعة والنصف صباحًا .

غمغم رئيسه فى دهشة :

ـــ ألا تذهب ؟!.. هل كان يعنيك أنت بالذات ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. لقد طلب منى ألا أذهب إلى هناك ، وكأننى من مرتادى المكان ، صباحًا ومساءً .

اعتدل رئيسه فى مجلسه ، وسأله فى اهتمام :

ـــ وما الذى يعنيه هذا المطلب العجيب ؟

أجابه فى سخط :

ـــ إنه شخص تافه سخيف .

سأله رئيسه فى لهفة :

ـــ وماذا لو أن رسالته تعنى عكسها تمامًا ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

قال فى اهتمام :

ـــ أعنى أن من اتصل بك كان يعرف شخصيتك جيدًا ، وهذا يعنى أنه يعرف تاريخك بالتالى ، وربما كان يرغب فى دفعك إلى الذهاب إلى ملهى الهرم ، فى تمام التاسعة والنصف ، ولكنه استخدم عبارات النهى ؛ ليزيد من شوقك ولهفتك إلى الذهاب .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يفكّر فى هذا الاحتمال ، وقال فى توتر :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث فى ملهى الهرم ، فى مثل هذا الوقت ؟

أجابه رئيسه فى حزم :

ـ جريمة .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يتطلّع إلى رئيسه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ أية جريمة ؟

هزّ رئيسه كتفيه ، مغمغمًا :

ـ من يدرى ؟!

صمت بعض الوقت ، وهو يدرس هذا الاحتمال ، ثم لم يلبث أن لوّح بكفه ، قائلًا فى عصبية :

ـ مهما يكن .. لن أذهب .

وفجأة جاء ذلك الصوت الحاد ، الذى يقول فى حزم وحماس :

ـ أنا سأذهب .

التفت (عصام) ورئيسه إلى مصدر الصوت ، وقال الأوّل فى دهشة :

ـ (حازم) ؟! .. ما الذى أتى بك فى مثل هذا الوقت ؟

ابتسم (حازم) زميل (عصام) فى قسم الحوادث ، وقال فى حماس :

ـ حسن حظى .. قلبى يحدّثنى بأنها فرصتى ، لتحتل صورتى الصفحات الأولى فى كل الصحف .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ يا للهول !!.. ما الذى تظنه سيحدث هناك ؟.. هل سيغتالون رئيس الوزراء ؟

لوّح (حازم) بذراعه ، قائلًا :

ـ لم يخطر هذا ببالى بالطبع ، ثم إن رئيس الوزراء لا يذهب إلى مثل هذه الأماكن .

ثم مال نحو (عصام) ، مستطردًا :

ـ ولكنها بلا شك فرصة نادرة .

سأله (عصام) ضاحكًا :

ـ لماذا ؟

هتف فى حماس :

ـ لأتسلّق سلم النجاح ، مثل (عصام كامل) .

ابتسم (عصام) فى مرح ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ ولكن المحادثة كانت تطلب منى عدم الذهاب .

غمز (حازم) بعينيه ، قائلًا :

ـ هل تغار ؟.. أم أنك لم تستوعب بعد منطق رئيس القسم ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـ لا هذا ولا ذاك .. اذهب إلى حيث يحلو لك .

تهلّلت أسارير (حازم) ، والتفت إلى رئيسه ، يسأله فى لهفة :

ـ أتوافق يا سيّدى ؟

هزّ رئيس القسم كتفيه ، وابتسم قائلًا :

ـ بالطبع .

اندفع (حازم) نحو باب القسم ، فهتف (عصام) ضاحكًا :

ـ مهلًا .. إنها السابعة .. ما زال أمامك وقت طويل .

هتف (حازم) فى حماس :

ـ لست أحتمل الانتظار .. صدقونى .. هذه المحادثة تحمل إلىّ فرصة نادرة ، ولن أبالغ إذا ما قلت إنها قبلة ..

وأشرق وجهه ، وهو يستطرد :

ـ قبلة مدوّية ..

* * *

٢ ـ الانفجار ..

وقف (حازم) أمام ملهى الهرم ، يتأمّل فى واجهته الأنيقة ، وهو يغمغم فى حنق :

ـ إنه مغلق .. كان ينبغى أن أتوقّع هذا ، فهذه الأماكن تعمل طيلة الليل ، وتتوقّف نهارًا .. تمامًا كالخفافيش وحشرات الليل .

تنهّد فى ضيق ، وراح يدور حول المكان ، بحثًا عن منفذ إليه ، وهو يتمتم فى غضب :

ـ ما الذى يُمكن أن يحدث هنا ، بعد ساعتين ؟.. هل سيقتحم رجال الشرطة المكان ، ويضبطون شحنة مخدرات ضخمة ؟.. أم أن شخصًا ما قد دبّر جريمة قتل هنا ؟

برقت عيناه فجأة ، عندما وقع بصره على نافذة جانبية نصف مغلقة ، وهتف فى انفعال :

ـ ها هو ذا المدخل .

قفز يتعلق بإطار النافذة ، ثم جذب جسده إلى أعلى ، ودفع النافذة بيده ، ثم قفز عبرها إلى داخل الملهى ، حيث وجد نفسه فى أروقة الإدارة ، فتمتم فى عصبية :

قفز يتعلق بإطار النافذة ، ثم جذب جسده إلى أعلى ، ودفع النافذة بيده ، ثم قفز عبرها إلى داخل الملهى ..

ـ ترى ما عقوبة اقتحام مثل هذا المكان ؟

وابتسم بنفس العصبية ، وهو يسير عبر الرواق ، مستطردًا :

ـ أراهن أن نصف من يأتون إليه من المجرمين ، وحثالة المجتمع .

كان يحاول أن يمزح ، لينتزع من نفسه توتره ، حتى بلغ صالة العرض الضخمة ، فراح يتطلّع إليها مبهورًا ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. كم تكلّف بناء هذا الملهى ؟

وأطلق ضحكة ساخرة حقيقية هذه المرة ، وهو يستطرد :

ـ أراهن أنه قد تكلّف من الأموال ، ما يكفى لبناء مساكن شعبية ، لمئات الأسر المشرّدة :

، تردّد صدى ضحكته فى المكان طويلًا ، مما منحه شعورًا بالرهبة ، فتطلّع إلى ساعته ، وغمغم :

ـ إنها السابعة والنصف .. أمامنا ساعتان فحسب .

ثم جلس فوق مقعد قريب ، وهو يتمتم مستطردًا :

ـ وليس أمامى سوى الانتظار .. الانتظار حتى الموعد المحدود ..

* * *

نسى (عصام) تمامًا أمر ملهى الهرم ، وتلك الحادثة الهاتفية الغامضة ، وهو يراجع أخبار الحوادث والقضايا فى مكتبه ، ومع توافد الزملاء على الجريدة والقسم ..

وفى التاسعة والربع تقريبًا ، قال له رئيسه :

ـــ بقى ربع ساعة .

التفت (عصام) إليه فى دهشة ، يسأله :

ـــ على ماذا ؟

هتف رئيسه ضاحكًا :

ـــ يا إلهى !!.. أنسيت أمر ملهى الهرم ؟.

ضرب (عصام) جبهته بكفه ، هاتفًا :

ـــ يا إلهى !!.. لقد نسيته بالفعل .

ثم أشار إلى عدد من الأوراق أمامه ، مستطردًا :

ـــ كنت منهمكًا فى مطالعة أخبار افتتاح محل بيع المصوغات والمجوهرات الجديد ، فى مدينة (نصر) .. أتعلم يا سيدى أنه أكبر متجر فى الشرق الأوسط كله ؟ ويقال إنه يحوى ما قيمته مليارا جنيه من المصوغات والمجوهرات .

ابتسم رئيسه ، مهمهمًا :

ـــ أعلم ذلك .

أضاف (عصام) ضاحكًا :

ـــ وأنه يقع خلف منزلى تمامًا .

ضحك رئيسه بدوره ، وهو يقول :

ـــ أعلم ذلك أيضًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـــ ولكن ماذا عن ملهى الهرم ؟

هزَّ (عصام) كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

ـــ وما الذى يمكن أن يحدث له ؟

تطلَّع رئيسه إلى ساعته ، وقال :

ـــ لست أدرى .. ما هى إلا ربع الساعة ، ونعلم كل شىء .

مطَّ (عصام) شفتيه مرة أخرى ، وقال :

ـــ أراهنك أنه لن يحدث شىء .

ابتسم رئيسه ، وقال :

ـــ من يدرى ؟

ثم عاد ينهمك فى عمله بدوره ، ولم يكد (عصام) يلتفت إلى تلك الأوراق ، التى يطالعها ، حتى ارتفع رنين هاتفه ، فالتقط سمَّاعته فى آلية ، ووضعها على أذنه ، قائلًا :

ـــ هنا (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من الـ ....

قاطعه نفس ذلك الصوت الخشن الجاف ، الذى سمعه فى الصباح الباكر ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ـــ أمازلت هناك ؟

انقبضت أصابع (عصام) على سماعة الهاتف فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

ـــ من أنت ؟.. وماذا تريد ؟

نطق سؤاليه فى صوت حاد مرتفع ، ساد بعدهُ الصمت تمامًا فى القسم ، وأدار الجميع عيونهم إليه ، فى حين أجابه صاحب الصوت الخشن ، عبر أسلاك الهاتف فى سخرية :

ـــ دعك من هذين السؤالين .. وقل لى : لِمَ لَمْ تذهب إلى ملهى الهرم ؟

صمت (عصام) لحظات فى غضب ، سأله خلالها رئيسه فى همس ، وكأنما يخشى أن يتسلَّل سؤاله عبر أسلاك الهاتف ، أو أن يحطِّم به ذلك الصمت الرهيب ، الذى ساد المكان :

ـــ أهو صاحب مكالمة الصباح ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا لرئيسه ، وقال لصاحب الصوت الخشن :

ـــ ألم تطلب منى عدم الذهاب ؟

أطلق الرجل ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ كنت أظن أن فضولك الشهير سيدفعك إلى الذهاب ، مادمت قد طلبت منك ألاَّ تفعل .

أجابه (عصام) فى سخرية مماثلة :

ـــ أخطأت .. إننى أهوى طاعة الأوامر .

أطلق الرجل ضحكة رنَّانة ، وقال :

ـــ هذا طريف .

ثم استطرد فجأة فى خشونة :

ـــ ولكن يبدو أنك حسن الحظ بالفعل ، كما يقولون عنك ؛ لأنك لم تذهب إلى هناك .

سأله (عصام) فى سخرية :

ـــ لماذا ؟

تجمَّدت دماء (عصام) فى عروقه ، وخفق قلبه فى قوة وعنف ، عندما أجابه الرجل ، فى صوت أقرب إلى الشماتة :

ـــ لأنه سينفجر .. سينفجر فى تمام التاسعة والنصف .. وسيتحوَّل كله إلى أطلال .

اتسعت عينا (عصام) فى رعب ، على حين أطلق الرجل ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن ينهى المحادثة ..

وبعد ثانية واحدة من الجمود ، ألقى (عصام) سمّاعة الهاتف ، صائحًا فى جزع :

— يا إلهى !!.. (حازم) !!.. إنه هناك :

ثم التفت إلى رئيسه مستطردًا :

— ملهى الهرم سينفجر .

حدّق رئيسه فى وجهه ، وهتف فى ذهول ، وسط صمت رهيب ساد المكان .

— ينفجر .

سادت الجلبة فجأة ، وهبّ رئيس القسم من مقعده ، هاتفًا :

— يا إلهى !!.. (حازم) هناك ، والساعة الآن التاسعة والنصف إلا خمس دقائق .

هتف (عصام) فى توتر بالغ :

— ماذا يمكننا أن نفعل ؟

صاح رئيسه فى هلع :

— اتصل بالملهى .. اطلب من (حازم) أن يغادره بأقصى سرعة .

أسرع (عصام) يبحث فى دليل الهاتف ، عن رقم هاتف

ملهى الهرم ، وبدت له الثوانى وكأنها تعدو فى سباق للمسافات القصيرة ، وتندمج فى سرعة مخيفة ، لتضيع الدقائق ، وتلتهمها التهامًا ..

وعثر على الرقم ..

وبقيت ثلاث دقائق ..

وأدار قرص الهاتف فى سرعة ، ثم جلس يستمع إلى رنينه ، على الطرف الآخر ، فى عصبية بالغة ..

ولكن أحدًا لم يُجِبْ ..

وراح الوقت يمضى بسرعة مخيفة ..

مخيفة كانفجار قنبلة ..

* * *

انتفض جسد (حازم) فى قوة ، عندما ارتفع رنين الهاتف بغتة ، وقفز من مقعده نحوه ، وامتدّت يده لتلتقط سمّاعته ، إلا أنها قد تجمّدت فى طريقها ، وعاد هو يتراجع ، ويعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

— ماذا كنت سأفعل ؟.. أية حماقة كنت سأرتكب ؟.. من المفروض أنه لا يوجد أحد هنا .

عاد إلى مقعده متوترًا ، وبدا له رنين الهاتف مزعجًا للغاية ، وهو يقول فى حدة :

ـ تُرى من يتصل بمثل هذا المكان ، فى التاسعة والنصف صباحًا ؟.. إنه شخص أخطأ الرقم حتمًا .

واصل الهاتف رنينه فى إصرار ، وكان صدى الرنين يتردَّد فى الصالة الخالية قويًا ، مما أثار أعصاب (حازم) ، فصاح فى حنق :

ـ أيها اللعين .

وهبَّ من مقعده ، وانتزع أسلاك الهاتف فى عنف ، فتوقَّف عن الرنين ، وساد المكان هدوء مفاجئ ، أرهب (حازم) لحظات ، قبل أن يُطلق ضحكة عصبية ، ويقول :

ـ هأنذا أرتكب الأخطاء ، واحدًا بعد الآخر !!.. تُرى كيف نجح (عصام كامل) ، فى أن يحوز كل هذه الشهرة ، ويغرق فى كل هذه المغامرات ، دون أن يلقى رجال الشرطة القبض عليه مرة واحدة ؟

هزَّ رأسه فى دهشة ، وعاد يجلس متوترًا ، وألقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

ـ بقيت دقيقة واحدة ، وتشير الساعة إلى تمام التاسعة والنصف .

وعلى عكس (عصام) ، بدت له الثوانى وكأنها مثقلة

بأغلال قوية ، تعوق حركتها فى صعوبة ، فغمغم وقد بلغت عصبيته ذروتها :

ـ أية جريمة يمكن أن تحدث هنا ؟!.. إنها سخرية بلاشك ..

وأنا الذى صدقت هذا !!.. يالى من سخيف !!.

راح يتطلَّع مرة أخرى إلى ساعته ..

بقيت عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

سبع ..

وتألقت عيناه فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ حسنًا .. ستأتى الحقيقة بعد ثوان ..

واقترب عقرب الثوانى ..

ثانيتان ..

واحدة ..

وهتف (حازم) :

ـ الآن ..

ومع آخر حروف كلمته ، دوى الانفجار ..

الانفجار الرهيب ..

* * *

٣ ــ الوحوش ..

فى أحد المنازل العديدة ، فى مدينة (القاهرة) الكبرى ، جلس رجل نحيل ، فارع الطول ، يُدخّن سيجارته فى هدوء شديد ، وكأنما لا يوجد بالعالم كله ما يمكن أن يقلقه ، وهو يطالع (التليفزيون) ، ويبتسم ابتسامة خاوية ، على الرغم من مشاهدته لبرنامج جاد ، يبدأ به العرض الصباحى ..

وعندما بلغ مسامعه صوت مفتاح يدور فى ثقب الباب ، التفت فى هدوء ، يتطلّع إلى القادم ، الذى كان مفتول العضلات ، قوى البنيان ، ثم عاد يلتفت إلى شاشة (التليفزيون) ، وهو يسأله :

ــ هل انفجرت القنبلة ؟

ابتسم القادم ، قائلًا :

ــ بالطبع .. وفى موعدها تمامًا .

ثم أشار إلى صدره القوى ، مستطردًا فى زهو :

ــ ألم تعترف بعد بأن لك شريكًا عبقريًا ؟

ابتسم النحيل فى سخرية ، وهو يقول :

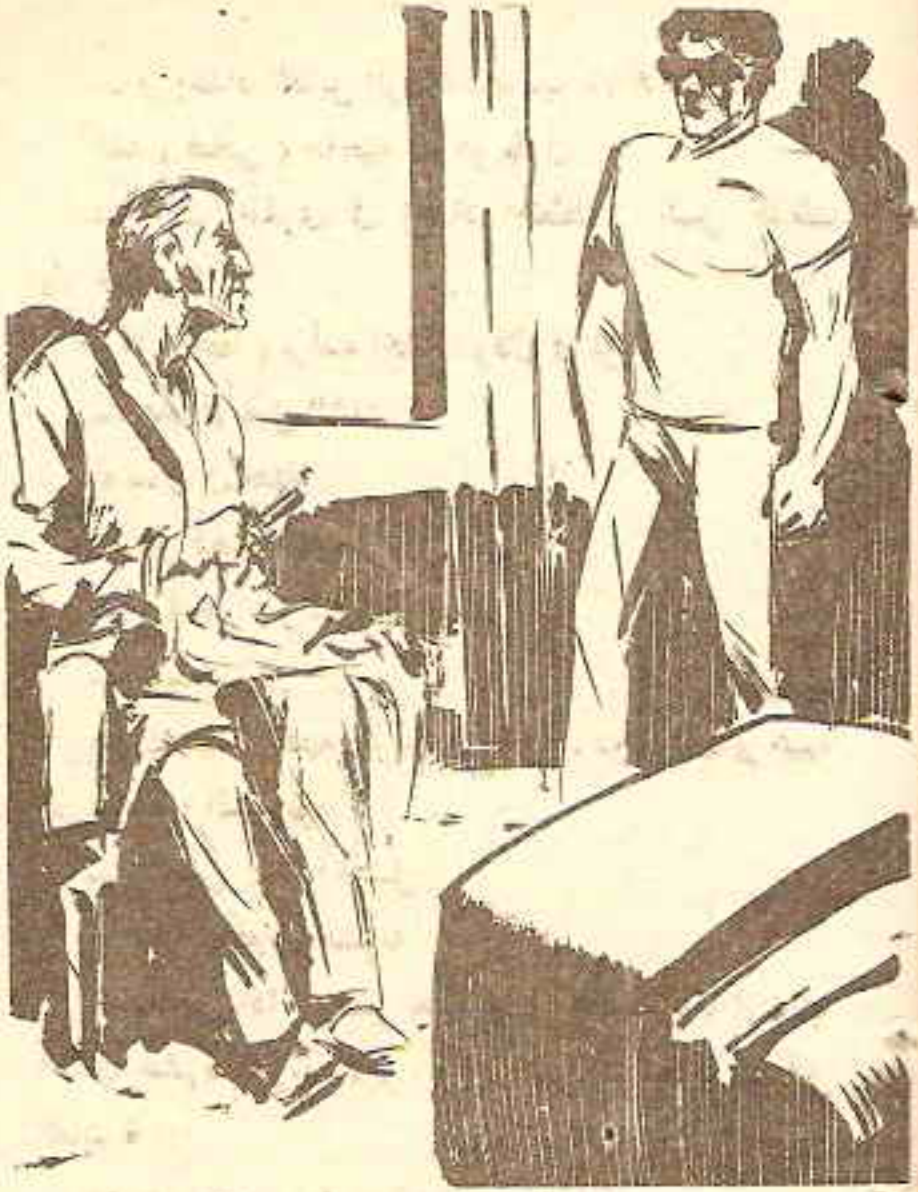

التفت فى هدوء ، يتطلّع إلى القادم ، الذى كان مفتول العضلات ، قوى البنيان ، ثم عاد يلتفت إلى شاشة (التليفزيون) ..

ـ فى إعداد القنابل الزمنية فحسب يا (فتحى) .

عقد (فتحى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وأنت عبقرى فى إعداد الخطط .. أليس كذلك يا (عطا) ؟

أومأ (عطا) برأسه إيجابًا ، وقال فى برود :

ـ هذا لا يقبل الشك .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ هل ذهب الصحفى إلى الملهى ؟

هزَّ (فتحى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يذهب .

مطَّ (عطا) شفتيه ، وقال فى هدوء ، دون أن يدير عينيه عن شاشة (التليفزيون) :

ـ لا بأس .. هذا أفضل .

ثم عاد يسأله فى خشونة :

ـ ولكن لماذا لم تحضر بعد انفجار القنبلة تمامًا ؟.. إنها الحادية عشرة والربع الآن ، وكان ينبغى أن تكون هنا قبل العاشرة .

ابتسم (فتحى) فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ هل أقلقك غيابى ؟

أجابه (عطا) فى برود :

ـ كلَّا .

انعقد حاجبا (فتحى) فى غضب ، وهمَّ بأن يهتف بشىء ما ، لولا أن أستطرد (عطا) فى صرامة :

ـ والآن لماذا تغيَّبت ؟

أجابه (فتحى) فى ضيق :

ـ بعد نجاح الخطوة الأولى ، رأيت أنه من الأفضل أن أبدأ الثانية على الفور .

مطَّ (عطا) شفتيه ، وغمغم :

ـ وأين وضعت القنبلة الثانية ؟

أجابه فى هدوء :

ـ فى مكتبة (بولاق) .

ابتسم (عطا) فى هدوء ، وغمغم :

ـ لا بأس .

ثم اتسعت ابتسامته ، وتدانت أجفانه ، وكأنه يهم بالاستغراق فى النوم ، وهو يستطرد :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .. على ما يرام تمامًا ..

* * *

قاوم (عصام) فى شدة تلك الدموع الحزينة ، التى تجاهد للقفز من عينيه ، وهو يقف مع العقيد (خيرى) ، أمام ما تبقى من ملهى الهرم ، وأشاح بوجهه فى ألم ، متفاديًا التطلّع إلى رجال الإسعاف ، وهم يحملون جثة (حازم) ..

أو ما تبقى منها أيضًا ..

وبدا له صوت العقيد (خيرى) حادًا كالخناجر ، وهو يقول فى غضب :

ـــ إذن فقد كنت تعلم !!

غمغم (عصام) فى حزن ومرارة :

ـــ إننى لم أتوقّع أن ..

قاطعه العقيد (خيرى) فى غضب :

ـــ تتوقّع ؟!.. ماذا أصابك يا (عصام) ؟!.. ألم يعلّمك عملك بقسم الحوادث شيئًا ؟!.. ألم تحفر فيك كل مغامراتك السابقة بصماتها ؟!.. ألا تقول القاعدة : إنه من الضرورى اعتبار كل تهديد صحيحًا ، حتى يثبت العكس ؟!

هتف (عصام) فى مرارة :

ـــ أرجوك يا سيادة العقيد ، إننى أشعر بما يكفى من تأنيب الضمير ؛ لأننى المسئول عن قدوم (حازم) إلى هنا ، وعن مصرعه ، فلا تزد الأمر سوءًا .

انعقد حاجبا العقيد (خيرى) فى غضب ، وبدا لحظة أنه سينفجر فى وجهه ، إلا أن ملامحه لم تلبث أن لانت ، واختفى غضبه ، لتحلّ محله نظرة حانية مشفقة ، وهو يربّت على كتفى (عصام) ، مغمغمًا :

ـــ لا بأس .. إننى أقدّر ذلك .

قاده فى هدوء إلى سيارة الشرطة ، التى تقف قريبًا ، وسأله فى اهتمام :

ـــ قل لى .. ألم تتعرّف ذلك الصوت ، الذى أخبرك بأمر القنبلة ؟

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ مطلقًا .. لِمَ راودتك هذه الفكرة ؟

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـــ إنها ليست بالفكرة الحمقاء ، فبالنظر إلى أسلوب المحادثة ، وإلى قول ذلك الوغد ، إنه كان يتوقّع قدومك إلى هنا ، يبدو من الواضح أنه كان يرغب فى التخلّص منك ، وهذا يشير إلى وجود ثأر قديم ، بينك وبين شخص ما ، يرغب فى القضاء عليك .

تنهّد (عصام) ، وسأله فى توتر :

ـ لماذا لم يضع القنبلة فى منزلى إذن ؟

أجابه العقيد (خيرى) :

ـ حتى لا يبدو غرضه واضحًا ، فيقودنا ذلك إليه ، على نحو أو آخر .

هزّ (عصام) رأسه ، وقال :

ـ ربما .. ولكن هذا الصوت لم يكن مألوفًا لدى .

عقد العقيد (خيرى)حاجبيه ، وقال :

ـ لا بأس إن من يحاول قتلك سيستعين بقاتل آخر ، أو على الأقل بشخص يتحدَّث إليك ، حتى لا تتعرَّف صوته .

قال (عصام) فى حدة :

ـ هذا لو اتفقنا على أن القضاء علىّ هو الغرض الرئيسى من كل هذا .

مال العقيد (خيرى) نحوه ، قائلًا :

ـ أتنكر أن لك عددًا كبيرًا من الأعداء ، بعد كل ما كشفت أمره من جرائم ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا .. على الرغم من أن فضل كشف أمر هذه الجرائم ، لا يعود إلىَّ .

هتف العقيد (خيرى) :

ـ ولكن الجميع يتصوَّرون أنه كذلك .

وافقه (عصام) بإيماءة من رأسه ، قائلًا :

ـ هذا صحيح .

ثم عاد يتنهَّد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكننى ما زلت أتساءل .. لماذا يلجأ شخص ما إلى كل هذه التعقيدات ، للقضاء علىّ ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى حدة :

ـ قلت لك إنه يفعل هذا ، ليبعد الشبهات عن نفسه .

زفر (عصام) مرة أخرى ، وقال :

ـ لا بأس .. سأحاول الاقتناع بهذا المنطق .

ثم نهض من مكانه ، فسأله العقيد (خيرى) فى حدة :

ـ إلى أين ؟

أجابه متوترًا :

ـ إلى منزلى .. إننى أحتاج إلى بعض الراحة .

قال العقيد (خيرى) فى حزم :

ـ سيرافقك أحد رجالنا إلى هناك .

هتف (عصام) فى حدة :

ـ كلّا .

وقبل أن ينطق العقيد (خيرى) بكلمة أخرى ، كان (عصام) قد قفز داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، فغمغم العقيد فى حنق :

ـ يا له من عنيد !

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا فى لهجة آمرة :

ـ اتصل بالإدارة ، واطلب من بعض رجالنا حراسة منزل الصحفى (عصام) ، ومراقبته طيلة الوقت ، حتى أصدر أوامر أخرى ، واستصدر أمرًا من النيابة بمراقبة هاتف منزله ، وهاتفه الخاص فى عمله .

أجابه الشرطى فى حزم :

ـ أمرك يا سيّدى .

ثم انطلق لتنفيذ الأمر ، على حين ازداد انعقاد حاجبى العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى ضيق :

ـ إنه يرفض الاستماع إلىّ ، على الرغم من أننى أشعر أن هذه القضية قد تكون فيها نهاية (عصام كامل) .. نهايته كصحفى .. وكرجل حى ..

* * *

٤ ـ السباق ..

لم ينجح (عصام) ، طيلة الساعات الثلاث التالية ، فى انتزاع كل ذلك الحزن ، الذى سيطر على قلبه ..

لقد كان يشعر أنه المسئول عن مصرع (حازم) ..

ومن عينيه سالت قطرة دمع ..

كان يستعيد حواره الأخير معه ..

ذلك الحوار المفعم بالحماس والسعادة والأمل ..

ما زال يذكر جوابه ، عن حسن حظه ، الذى أرسله إلى مكتبه ، فى ذلك الوقت المبكر من صباح اليوم ، ليحصل على قصة جديدة ..

ما زال يذكر كيف وصف الأمر بأنه قبلة ..

ولقد كان المسكين صادقًا ومخطئًا ..

كانت حقًّا قبلة ..

قبلة أطاحت به ..

بحماسه ..

بطموحه ..

بمستقبله وآماله ..

لقد ساقه القدر إلى حتفه ، لا إلى أمله ..

وفى حرارة ، راح (عصام) يبكى صديقه ..

وفى مرارة ، راح يغمغم :

ــ معذرة يا (حازم) .. كيف يمكنك أن تغفر لى ؟.. كيف ؟

انتفض جسده بغتة ، عندما خيّل إليه أنه قد سمع صوت (حازم) واضحًا ، وهو يقول :

ــ بأن تنتقم لى .

رفع عينيه فى دهشة وذعر ، وراح يتلفّت حوله ، قبل أن يهتف :

ــ أين أنت ؟!.. أين أنت يا (حازم) ؟

لم يجاوبه سوى صدى صوته ، إلا أنه عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ سأفعل يا (حازم) .. سأفعل يا صديقى .. سأنتقم لك .. سأ .....

بتر عبارته رنين الهاتف المفاجئ ، فارتجف جسده فى حدة ، وأدار رأسه نحو الهاتف فى عنف ، وغمغم فى عصبية وتوتر :

ــ ماذا هناك هذه المرة ؟

اقترب من الهاتف ، الذى واصل رنينه فى إصرار ، ووقف إلى جواره متردّدًا ، ثم التقط سمّاعته فى سرعة ، وكأنما حسم أمره ، ووضعها على أذنه ، قائلًا فى صوت يموج بالانفعال :

ــ من ؟!

أتاه نفس ذلك الصوت الخشن الجاف ، يقول :

ــ إنه أنا .. هل تذكر صوتى ؟

هتف (عصام) فى غضب :

ــ أيها السافل الحقير .

جاوبته ضحكة ساخرة ممتدّة ، جعلته يستطرد فى ثورة :

ــ إنك لا تستحق سوى الموت ، وبأحقر وسيلة ممكنة .

أتاه الصوت ، وهو يقول فى سخرية :

ــ إلى هذا الحد ؟!.. عجبًا!!.. ماذا كان شعورك سيصبح إذن ، لو أنك لقيت مصرعك فى الانفجار ؟

صاح (عصام) غاضبًا :

ــ كان سيصبح أفضل مما هو الآن حتمًا .

قال صاحب الصوت ساخرًا :

ــ لماذا ؟.. أكنت تفضّل الموت ؟

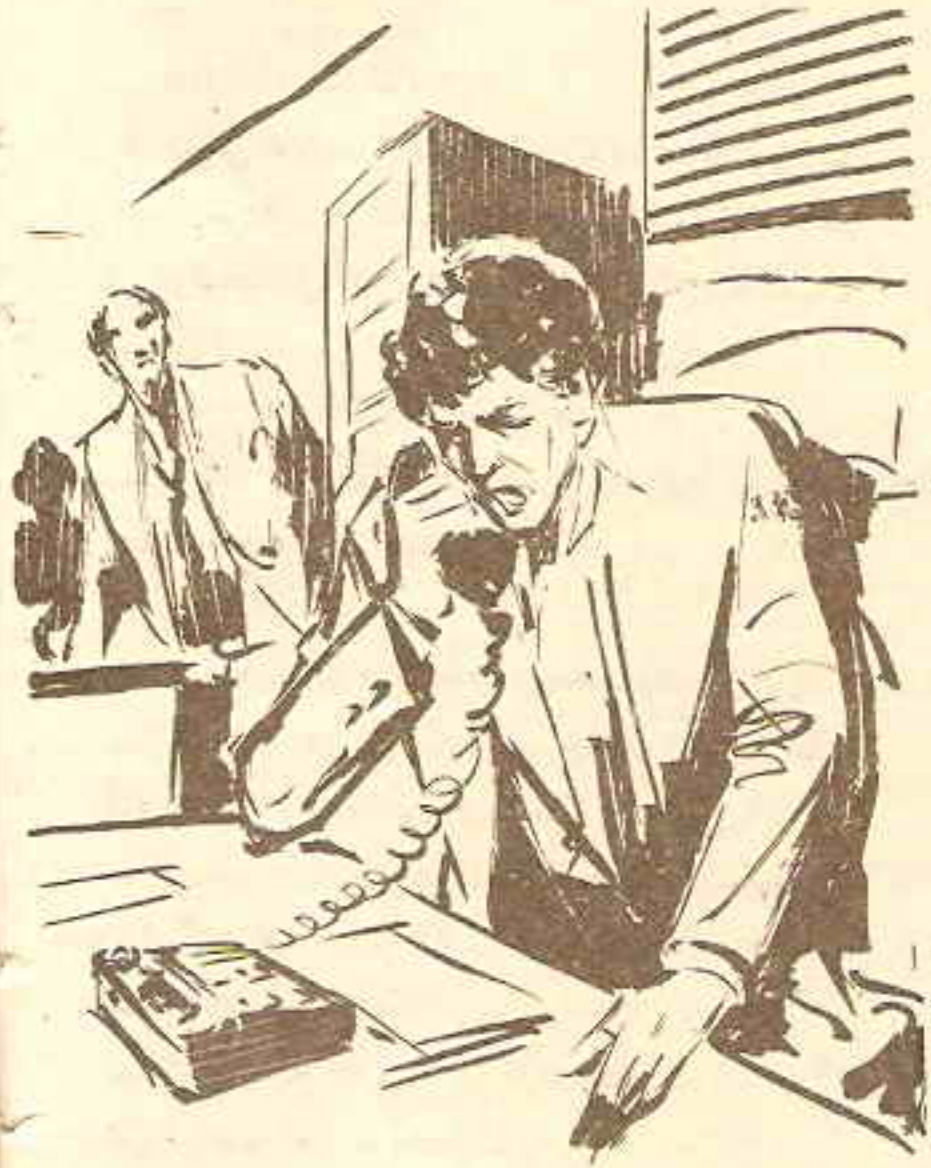

هتف (عصام) فى غضب :

ـــ أيها السافل الحقير .

صاح به (عصام) :

ـــ موتى كان سيصبح أفضل من موت (حازم) .

بدا الصوت بغتة أقل خشونة ، وتقلت الأسلاك نبرة دهشة سرت فى حروف كلماته ، وهو يقول :

ـــ (حازم) ؟!.. (حازم) من ؟

هتف (عصام) فى مرارة :

ـــ الذى لقى مصرعه هناك ؟!

كانت الدهشة واضحة هذه المرة ، عندما هتف صاحب الصوت :

ـــ لقى مصرعه ؟!

صاح (عصام) غاضبًا :

أتحاول إقناعى بأنك لم تكن ترغب فى ذلك ؟

ران الصمت لحظة ، ثم عاد صاحب الصوت ، يقول بنفس الحدة والخشونة .

ـــ اسمع أيها الصحفى .. ما فات قد فات .. دعك من كل هذا ، واستمع إلىّ جيّدًا .

هتف (عصام) فى حنق :

ـــ أهى قنبلة أخرى ؟

أتاه الجواب أشبه بالقنبلة :

ـــ نعم .

وعلى الرغم من أن (عصام) كان يتوقّع هذا الجواب تمامًا ،

إلَّا أنه قد شعر بما يشبه الصدمة ، ففغر فاه ، واتسعت عيناه ، وبقى صامتًا لحظات ، قبل أن يستطرد صاحب الصوت فى قسوة .

ــ ولقد وضعناها هذه المرة فى مكتبة الاطفال ، فى (بولاق) .

صاح (عصام) فى حدة :

ــ أيها الوغد .

ثم انهار صوته ، وهو يستطرد فى مرارة :

ــ لماذا تفعل هذا ؟.. لماذا ؟

أجابه صاحب الصوت فى سخرية :

قلت لك ألا تقلق بشأنى .. اقلق بشأنهم هم .

هتف (عصام) فى حنق :

ــ أيها الحقير القذر .. سأبلغ الشرطة .. سأ .....

قاطعه الرجل فى خشونة :

ــ يمكنك أن تحاول .. ولكن فلتعلم أوَّلًا أن مركز التوزيع الهاتفى فى منطقتك سينفجر ، بعد دقيقة واحدة ، وكذلك زميله ، فى منطقة (بولاق) ، ومكتبة الطفل ستنفجر بعد نصف ساعة فقط ... حاول .. مع تحياتى .

أطلق ضحكة ساخرة أخرى كعادته ، وهو ينهى المحادثة ، فراح (عصام) يصرخ غاضبًا :

ــ أيها الوغد .. أيها الحقير .

وفجأة دوى صوت انفجار مكتوم ؛ وانقطعت حرارة الهاتف تمامًا ، فشحب وجه (عصام) ، وهو يهتف فى ذعر :

ــ يا إلهى!!.. الأطفال ؟!

راح يدور حول نفسه فى ذعر ، وهو يتساءل عن الوسيلة الممكنة ؛ لإنقاذ الأطفال ، قبل أن تنفجر بهم المكتبة ..

إن هاتفه معطَّل ..

وكذلك كل هاتف بالمنطقة ..

لن يستطيع الاتصال برجال الشرطة ، لمنع الانفجار ..

عليه ، لكى يفعل ، أن ينطلق إلى أقرب منطقة ، فيها هاتف يعمل ..

وحتى عندما يجد هذا الهاتف ، سيكون عليه أن يبحث عن أقرب قسم شرطة ، يُمكن الاتصال به ، بعد نسف مركز التوزيع الهاتفى لـ(بولاق) أيضًا ..

ونصف الساعة لن تكفى لكل هذا البحث ..

ليس أمامه سوى حل واحد إذن ..

أن ينطلق إلى هناك ..

إلى حيث القنبلة ..

لم يكد ذلك الخاطر يجول برأسه ، حتى اندفع على الفور مغادرًا منزله ، وقفز درجات السلم قفزًا ، ليلقى نفسه داخل سيارته ، ويدير محركها ، وينطلق بها نحو المكتبة ..

ولأوّل مرة فى حياته ، ينتبه إلى أن المواصلات فى (القاهرة) معقّدة للغاية ..

كانت هناك إشارة مرور ، بين كل كيلومتر وآخر ..

وزحام شديد من البشر والسيارات ..

والوقت يمضى فى سرعة ، وكأنما هو لا قيمة له ..

وكادت أعصابه تنهار تمامًا ..

وما بين كل لحظة وأخرى ، كان يتطلّع إلى ساعته ..

وعندما بلغ تلك المنطقة ، التى أقيمت فيها المكتبة ، كانت أمامه ثلاث دقائق فحسب ..

وبصرير مخيف ، أطلقته إطارات سيارته ، توقّف أمام المكتبة ، وفى قوة وتوتر وجزع ، قفز مغادرًا السيارة ، وصاح فى المارة :

ــ ابتعدو .. ابتعدو بالله عليكم .

توقّفوا ليحدقوا فيه فى دهشة ، فصرخ :

ــ ستنفجر المكتبة .. أسرعوا .

تعالت الصرخات ، وساد الهرج والمرج ، والجميع يتدافعون ، ويعدون مبتعدين ، فى حين اندفع هو نحو المكتبة ، وراح يدق بابها بقبضتيه ، صائحًا :

ــ افتحوا الأبواب .. أسرعوا .. غادروا المكتبة قبل أن تنفجر ..

سمع صوتًا من الداخل يهتف فى لهجة باكية :

ــ الباب موصد من الخارج .. نحن سجناء هنا .. أنقذنا .. أنقذنا أرجوك .

كان صوت طفل صغير ، مما أصاب (عصام) بذعر هائل ، فراح يهتف ، وهو يضرب الباب بكتفه :

ــ النجدة !! فليساعدنى أحدكم .. ستنفجر المكتبة ، وذلك المسكين داخلها .. النجدة !

ولكن المكان كان خاليًا ، بعد أن أشاع هو الذعر فيه ..

وفى يأس ، رفع ساعته إلى عينيه ، اللتين اتسعتا فى ذعر ..

لقد حان موعد الانفجار ..

حان ..

ودوى الانفجار ..

والتهمت القنبلة الزمنية الثانية ضحيتها ..

* * *

ـ كيف ؟!.. لقد سمعته بنفسى .. كان يصرخ ويستنجد و .....

قاطعه فى هدوء :

ـ لم يكن هذا طفلًا .. كان جهاز تسجيل صغير ، مزوَّد بلاقط صوتى حسَّاس ، يدفعه إلى العمل ، فور التقاطه صوت طرقات عنيفة ، على باب المكتبة .

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، وغمغم فى حيرة :

ـ إذن فلم يكن هناك أطفال !!

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. فلقد كانت المكتبة مغلقة .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ لماذا إذن ؟

جلس العقيد (خيرى) على طرف فراشه ، وقال :

ـ قصَّ علىَّ أوَّلًا ما حدث ، وسنحاول أن نستنتج معًا لماذا .

روى له (عصام) القصة كلها فى إسهاب ، ودون أن يهمل تفصيلًا واحدًا كعادته ، وأنصت إليه العقيد (خيرى) فى اهتمام بالغ ، ثم غمغم :

ـ عجبًا !!

ونهض من مكانه ، وراح يدور فى المكان ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، ومفكِّرًا فى عمق ، قبل أن يلتفت إلى (عصام) ، ويقول فى ضيق :

ـ الأمر يزداد غموضًا يا (عصام) ، فمن الواضح ، من محادثة الرجل لك ، أن مصرع (حازم) قد أدهشه ، وأنه كان يرغب فى إجبارك على اتخاذ ذلك الحل ، الذى لجأت إليه ، لتذهب بنفسك إلى مكتبة (بولاق) ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد وضع هناك قنبلة ضعيفة ، محدودة التأثير ، بحيث لا تصاب بأية أضرار ، إذا ما انفجرت فى وجهك ، وهذا ما حدث بالفعل ، فأنت لم تصب سوى ببعض الرضوض والكدمات .

غمغم (عصام) :

ـ هذا ينفى فكرة الانتقام منى إذن .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ولكنه يضعنا أمام سؤال محير .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حنق :

ـ ماذا يريد صاحب تلك القنابل ؟

أرخى (عصام) رأسه على وسادته ، وغمغم :

ـ لعله يرغب فى إرباكنا فحسب .

هتف العقيد (خيرى) فى حدة :

ـــ لماذا ؟

تمتم (عصام) :

ـــ هذا هو السؤال .

ثم اعتدل ؛ ليسأل العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـــ لماذا لم تقوموا بمراقبة هاتفى ؟

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وقال :

ـــ لقد فعلنا ، ولكن ذلك لم يُسفر عن شىء ، لقد كان يتحدَّث إليك من هاتف عمومى .

نهض (عصام) من سريره ، وجلس على طرفه ، قائلًا :

ـــ أهناك احتمال فى أن تكون تلك الأفعال مرتبطة بجماعة إرهابية ؟

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا وقال :

ـــ لست أظن ذلك ، وإلا فما كان هناك مبرِّر لاختيارك أنت ، لمعرفة أماكن القنابل الزمنية ، وتوقيت انفجارها .

همَّ (عصام) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن ممرضة القسم أتت فى تلك اللحظة ، وهى تحمل باقة من الزهور ، وابتسمت قائلة :

ولكن ممرضة القسم أتت فى تلك اللحظة ، وهى تحمل باقة من الزهور ..

ـ هذه الباقة لك يا أستاذ (عصام) .

هتف فى دهشة :

ـ لى أنا ؟!

أجابته وهى تضع الباقة إلى جوار فراشه :

ـ نعم .. لك أنت .. لا ريب أنه أحد المعجبين بتحقيقاتك الرائعة .

سألها العقيد (خيرى) فى حدة :

ـ وكيف بلغه الأمر ؟

سألته فى دهشة :

ـ بلغ من ؟!

سألها فى صرامة :

ـ كيف علم ذلك المعجب أن (عصام) قد أصيب ، وانتقل إلى هنا ؟.. بل متى علم بذلك ؟.. لقد حدث هذا منذ ساعة واحدة .

اتسعت عينا (عصام) فى توتر ، والتفت إلى باقة الزهور ، يحدّق فيها فى ذعر ، وهتف :

ـ أتعنى أنه من المحتمل أن تكون تلك الباقة ..... ؟

قاطعه العقيد (خيرى) فى حدة :

ـ نعم .. الاحتمال الأكبر هو أنها قنبلة .. قنبلة زمنية ..

* * *

تطلّع (فتحى) إلى ساعته ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أظنهم قد تسلّموا باقة الزهور الآن .

ابتسم (عطا) ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :

ـ أراهنك أنها ستثير دهشتهم وذعرهم فى شدة .

أطلق (فتحى) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ بالتأكيد .

أسبل (عطا) جفنيه ، ومنحه هذا ذلك المظهر المستهتر ، وهو يقول لشريكه فى تراخ :

ـ من حسن الحظ أن خطتنا تسير على ما يرام ، وكما وضعناها وتوقعناها تمامًا .

تمتم (فتحى) فى حماس :

ـ أنت عبقرى .

ابتسم (عطا) فى زهو ، وتابع :

ـ لقد استخدمنا قنبلة قوية فى المرة الأولى ، ثم أخرى ضعيفة فى الثانية ، وسيُربكهم هذا ، ويُعجزهم عن إدراك هدفنا الحقيقى .

ثم التقى حاجباه فى ضيق ، وهو يردف :

ـ ولكننى كنت أتمنى أن تنتهى العملية دون دماء

قال (فتحى) مدافعًا :

ـ إننى لم أتعمّد ذلك .. لقد أمرتنى بمراقبة ملهى الهرم ، ومنع الصحفى (عصام) من الدخول إليه ، إذا ما جاء إلى هناك ، ولكنك لم تذكر شيئًا بشأن زميله هذا ، فكيف كان لى أن أستنتج أمره ؟

تنهّد (عطا) ، وقال فى هدوء :

ـ اطمئن يا شريكى العزيز .. لست أطالبك بأية مهارات عقلية ، فالمثل القديم يقول : « إذا أردت أن تُطاع ، فمر بما يُستطاع » .

عقد فتحى حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تعنى ؟

لوّح (عطا) بكفه ، قائلًا :

ـ لا شىء .. لا شىء .

ثم تطلّع إلى ساعته مستطردًا :

ـ فقط كنت أتمنى أن أكون هناك ، فى حجرة ذلك الصحفى بالمستشفى ، حينما يكتشفون ما وضعناه داخل باقة الزهور .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ـ أراهنك أن المشهد سيكون مضحكًا .. مضحكًا بحق .

* * *

٦ ـ التوقيت ..

حدّقت ممرضة المستشفى ، فى باقة الزهور ، التى كانت تحملها بذراعيها منذ لحظات ، وهتفت فى رعب :

ـ قنبلة ؟!

أزاحها العقيد (خيرى) بذراعه ، وهو يقول فى حدة :

ـ ابتعدى .. غادرى الحجرة ، أو القسم كله ، ولكن لا تثيرى موجة ذعر .

ثم اتجه نحو باقة الزهور فى حزم ، متجاهلًا الممرضة المذعورة ، التى انطلقت تعدو بكل قوتها ، وكأن شياطين العالم كله تطاردها ، دون أن تجرؤ حتى على الصراخ ، وأسرع (عصام) يمسك الباقة ، قائلًا :

ـ اترك لى هذه المهمة يا سيادة العقيد .

هتف به العقيد (خيرى) فى توتر :

ـ لا داعى للعناد والمكابرة يا (عصام) .. دع لى أنا هذه المهمة ، فأنت لم تدرس شيئًا عن هذه القنابل ، أو كيفية تفادى ما يمكن أن تُحدثه من أضرار .

تجاهل (عصام) هذا القول تمامًا ، والتقط الباقة ، وأزاح زهورها جانبًا ، واتسعت عيناه فى توتر ، وهو يحدّق فى تلك الشاشة الصغيرة ، التى تشبه شاشات الساعات الرقمية ، والتى راحت الأرقام تتبدّل فوقها فى سرعة ، فى ترتيب تنازلى ، وهتف فى ذعر :

ــ يا إلهى !!.. هناك قنبلة بالفعل .

هتف به العقيد (خيرى) :

ــ كم بقى أمامها لتنفجر ؟

صاح (عصام) ، وهو يلقى الباقة بعيدًا :

ــ ثانية واحدة .

تراجع العقيد (خيرى) فى سرعة ، وقفز (عصام) من مكانه ، ولكن ..

مضت الثانية بأسرع مما يتوقعان ..

وأشارت عقارب الشاشة الرقمية إلى ذلك الرقم المفزع ..

إلى الصفر ..

* * *

توقّع (عصام) والعقيد (خيرى) انفجارًا ..

لقد توقّعه أحدهما عنيفًا ، كافيًا للإحاطة بنصف المستشفى ،

أو بذلك القسم على الأقل ، على حين توقّعه الآخر ضعيفًا ، يكفى لتحطيم الحجرة فقط ..

وكان كلاهما مخطئًا ..

هذا لأن الانفجار لم يحدث ..

لم يحدث قط ..

وهذا لا يعود إلى عيب فى تركيب القنبلة ..

ولا إلى خطإٍ فى التوقيت ..

إنه يعود فى الواقع إلى أنه لم تكن هناك قنبلة قطُّ ..

لقد أشارت تلك الشاشة الرقمية إلى الصفر ، فتحرك مؤشر خفى ، وارتفع صوت عجيب ..

لحن مميّز شهير ، يُعزف عادةً للسخرية ..

حدث هذا بعد أن ألقى العقيد (خيرى) نفسه أرضًا ، واستسلم (عصام) لمصيره تمامًا ..

وهذا كان اللحن محنقًا حقًّا ..

وتبادل العقيد (خيرى) مع (عصام) نظرة ساخطة ، ثم نهض قائلًا فى غضب :

ــ يا للسخافة !!

اقترب من الباقة ، وهو يردّد محنقًا :

ـ يبدو أن هؤلاء الأوغاد يميلون إلى الاستعراضيات .

اعتدل (عصام) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ولكن لماذا ؟

نطق سؤاله هذا ، والعقيد (خيرى) ينحنى لالتقاط الباقة ، وفوجئ الاثنان بصوت ساخر ينبعث منها ، قائلًا :

ـ هل أفزعناكم ؟!

تراجع العقيد (خيرى) فى دهشة ، وهتف (عصام) فى شحوب :

ـ إنه هو .. إنه نفس الصوت .

اتسعت عينا العقيد (خيرى) فى دهشة ، وهو يحدّق فى الباقة ، التى تابع الصوت من داخلها :

ـ أراهن أن مظهركم كان طريفًا ، وأنتم تعدون يمينًا ويسارًا ، متصورين أنه هناك قنبلة ستنفجر .

انطلقت بعد تلك العبارة ضحكة ساخرة ، أحنقت العقيد (خيرى) ، وهو ينحنى مرة أخرى ، ويلتقط الباقة ، ثم يزيح أوراقها وزهورها جانبًا ، ويقول فى حدة :

ـ إنه جهاز تسجيل صغير آخر .

لم يعلّق (عصام) ، وهو يستمع بكل حواسه إلى ذلك الصوت ، وهو يتابع ، بعد أن انتهت ضحكته :

ـ ولكننى أقدّر موقفكم .. أى إنسان فى موقعكم كان سيفعل هذا .. ولتعويض ذلك ، سأمنحكم فرصة أخرى .. فلقد وضعنا داخل المستشفى قنبلة حقيقية .

هتف (عصام) فى ذعر :

ـ يا إلهى !!.. قنبلة هنا ؟

أشار إليه العقيد (خيرى) فى عصبية أن يصمت ، على حين تابع الصوت ، فى خشونته وسخريته المعهودتين :

ـ لقد أصابتنا حيرة حقيقية ، ونحن نبحث عن موضع قنبلتنا الجديدة ، ثم رأينا أن أفضل مكان لها هو قسم الاستقبال ، فى الطابق الأرضى .. وستنفجر فى تمام الثامنة مساءً .

تطلع (عصام) إلى ساعته فى سرعة ، وشحب وجهه ، وهو يقول :

ـ الثامنة ؟!.. هذا يعنى أنه أمامنا ست دقائق فقط .

هتف العقيد (خيرى) ، وهو يندفع خارج الحجرة :

ـ هيا بنا .

انطلقا يعدوان عبر أروقة المستشفى ، ويهبطان فى درجات

سلمها إلى الطابق الأرضى ، والدقائق ــ كعادتها فى مثل هذه الأمور ــ تعدو كالبرق ، حتى بلغا هدفهما ، فصاح (عصام) :

ــ ابتعدوا .. فليخل الجميع المكان .. هناك قنبلة ستنفجر بعد ثلاث دقائق .

انطلقت صرخات المرضى والعاملين ، وراح الجميع يتدافعون للخروج من المكان ، على حين اندفع العقيد (خيرى) داخل حجرة الاستقبال الرئيسية ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ ساعدنى على العثور عليها يا إلهى !

راح يدفع كل ما يعترض طريقه ، ويلقى به يمنةً ويَسْرَةً ، دون أن يبالى بتحطم أثاث ، أو تهشم قنينات الأدوية ، أو المحاقن .. والوقت يمضى فى سرعة ، حتى لحق به (عصام) ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ هل عثرت عليها ؟

صاح به فى عصبية :

ــ ليس بعد .

هتف (عصام) :

انطلقا يعدوان عبر أروقة المستشفى ، ويهبطان فى درجات سلمها إلى الطابق الأرضى ..

ـ لم تعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .

صاح العقيد (خيرى) فى توتر :

ـ لا يوجد ما يشير إلى مكان وجودها قط .

جذبه (عصام) من ذراعه ، هاتفًا :

ـ فلنبتعد إذن .

صاح العقيد (خيرى) :

ـ ينبغى أن نواصل البحث .

جذبه (عصام) بعيدًا فى قوة ، وهو يهتف :

ـ لا وقت للعناد .. فلنبتعد قبل أن توضع أسماؤنا فى لائحة شهداء القنابل الزمنية .

تردَّد العقيد (خيرى) لحظة ، ثم تبعه فى سرعة ، وتجاوزا معًا قاعة قسم الاستقبال الكبرى ، و .....

انفجرت القنبلة ..

* * *

٧ ـ كل شىء مدروس ..

أطلق (عطا) ضحكة ساخرة مجلجلة ، بدت عجيبة بالنسبة لطبيعته الهادئة ، وقال متهكمًا :

ـ يا له من يوم حافل !.. لقد نسفنا اليوم فقط ، أكثر مما نسفناه فى عام كامل .

ابتسم (فتحى) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ ليتك رأيت وجوههم ، بعد أن انفجر استقبال المستشفى .. لقد أصاب الوجوم الجميع ، ووقفوا أمام أنقاض المكان ، يضربون كفًّا بكف ، وهم يتساءلون عما يعنيه كل ذلك .

ضحك (عطا) مرة أخرى ، وقال :

ـ ألا تقدِّر موقفهم يا شريكى العزيز ؟.. إنهم يواجهون أمرًا عجيبًا ، لم يخبروا مثله من قبل ، والأحداث تتوالى فيه فى سرعة فائقة ، تمنعهم حتى من تنظيم تفكيرهم ، وتسبِّب لهم ارتباكًا وحيرة .

هتف (فتحى) فى حماس :

ـــ صدقنى .. إنك عبقرى .

ابتسم (عطا) فى ثقة ، وقال :

ـــ كم يسعدنى أنك قد لاحظت ذلك .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ـــ إن خطتى هذه تتوافق مع روح العصر .. خطة سريعة ، مركّزة ، تتوالى فيهـــا الضربات على الخصم فى غزارة وقوة ، مع اتباع نسق مدروس .

ضحك (فتحى) ، قائلًا :

ـــ لست أجد ضرورة لهذا النسق .

هتف (عطا) :

ـــ على العكس يا شريكى العزيز .. إن هذا النسق هو العمود الفقرى لخطتنا كلها .

سأله فى لهفة :

ـــ كيف ؟

ابتسم (عطا) فى ثقة رجل يدرك قدر نفسه ، واعتدل فى عظمة ، وهو يقول لشريكه :

ـــ هل قرأت شيئًا عن تجربة (بافلوف) ؟

اتسعت عينا (فتحى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ (بافلوف) .. ما هذا ؟

ابتسم (عطا) فى سخرية ، قائلًا :

ـــ بل قل (من هذا ؟) .. لأن (بافلوف) هذا عالم روسى ، له تجربة شهيرة فى عالم الأبحاث ، فلقد أحضر كلبًا ، وراح يدقّ له جرسًا مميّزًا ، ثم يقدّم له الطعام ، وبعد عدة مرات ، كان لعاب الكلب يسيل ، عندما يدق الجرس ، وقبل أن يرى الطعام .

تراجع (فتحى) فى حيرة ، وراح يهرش رأسه متمتمًا :

ـــ وما صلة (فلفوف) هذا وتجربته ، بما نحن بصدده ؟

زفر (عطا) فى ضيق ، وقال :

ـــ (بافلوف) يا شريكى .. اسمه (بافلوف) .. ولكن دعك من كل ذلك ، وقل لى : هل أنت مستعد للانتقال إلى الخطوة التالية ؟

هتف (فتحى) فى حماس :

ـــ تمام الاستعداد .

برقت عينا (عطا) فى شغف ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. سننتقل إليها ..

هتف (فتحى) فى لهفة :

ـــ متى ؟!

أطلق (عطا) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـــ بعد ساعة واحدة يا صديقى .

ثم تألّقت عيناه فى شراهة ، وهو يستطرد :

ـــ هذا هو أسلوبى المفضّل .. « كل شىء مدروس » .

وزفر فى عمق ، ثم أضاف :

ـــ وسريع .

* * *

عقد وزير الداخلية حاجبيه فى غضب ، وهو يقول للعقيد (خيرى) :

ـــ ما معنى هذا بالضبط ؟!.. ثلاث قنابل فى يوم واحد ، والساعة لم تتجاوز العاشرة بعد !!.. هذا يضعنا فى موقف شديد الحرج ، فهو يبدو أشبه بانقلاب مدنى .

هزّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لست أظن الأمر يتصل بأية نواح سياسية يا سيّدى .. لا من قريب ، ولا من بعيد ..

سأله الوزير فى حدة :

ـــ ماذا تظنه إذن ؟

لم يُجِر العقيد خيرى جوابًا ..

لم يفعل ؛ لأنه لم يكن يملك جوابًا ..

لم يكن مؤمنًا حتى بأن الأمر لا يحمل صبغة سياسية ..

لم يكن باستطاعته الجزم بذلك ..

كان هناك شىء غامض فى الأمر كله ..

شىء غير منطقى ..

ولكن ما هو ؟ ..

وفى حدة ، كرّر الوزير سؤاله :

ـــ هه .. ماذا تظنه أيها العقيد ؟

أجابه فى حزم :

ـــ لم أكوّن فكرة كاملة بعد يا سيّدى .

قال الوزير فى عصبية :

ـــ كيف تجزم إذن بأنه ليس سياسيًا ؟

قال فى هدوء :

ـــ لم أجزم يا سيّدى ، ولكننى أرجح ذلك .

سأله فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

ازدرد (خيرى) لعابه ، وقال :

ـــ لأنه لا يحمل ذلك الطابع يا سيِّدى .. لو أننا راجعنا كل ما حدث ، منذ التاسعة صباحًا ، وحتى الآن ، فسنجد أننا نواجه مجرمًا ، أو عدة مجرمين ، يسيرون على نمط ثابت ، فهم يضعون قنابلهم فى أماكن عامة ، ولكنهم يحرصون فى الوقت ذاته على ألا يصاب أحدٌ بضرر من انفجارها .

سأله الوزير :

ـــ وماذا عن ذلك الصحفى ، الذى لقى مصرعه فى الصباح ؟

أجابه (خيرى) :

ـــ لم يكن مصرعه مقصودًا يا سيِّدى ، فطبقًا لتسلسل الأحداث ، نجد أن ذهابه إلى هناك كان محض مصادفة ، وأنه كان من المحتمل جدًّا ألا يذهب .

قال الوزير :

ـــ ولكن قنبلة استقبال المستشفى كانت قوية ، وكان من الممكن أن تنسف نصف المبنى ..

هزَّ رأسه ، قائلًا :

ـــ لست أعتقد ذلك يا سيِّدى ، فصحيح أنها كانت قوية ، إلا أن من وضعها قد اختار لها موضعًا خاصًّا ، لا يمكن أن يؤدى

إلى تسرّب قوة الانفجار فى الجدران ، وتأثر الأساسات بها .

عقد الوزير حاجبيه فى حزم ، قائلًا :

ـــ هذا يعنى أننا نواجه خبير تفجير .

أجابه العقيد (خيرى) :

ـــ بالضبط يا سيِّدى .. هذا هو التفسير الوحيد ، ولقد طلبت من قسم البحث والتحريات ، وضع قائمة بأسماء كل خبراء التفجير فى (مصر) .

سأله الوزير فى اهتمام :

ـــ وكم يستغرق هذا ؟

تطلَّع (خيرى) إلى ساعته ، وقال :

ـــ المفروض أن يكون قد انتهى الآن .

ـــ أومأ الوزير برأسه مؤيدًا ، وسأله فى حزم :

ـــ وماذا ستفعل الآن ؟

أجابه (خيرى) فى هدوء :

ـــ ما سأفعله أنا أمر بسيط وتقليدى يا سيِّدى ، فسأعمل على استجواب كل خبراء التفجير ، الذين تتضمّنهم القائمة .. المهم هو ما الذى سيفعلونه هم ؟

عاد الوزير يعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ أين تظنهم سيضربون ضربتهم التالية ؟

هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـ لا أحد يمكنه أن يستنتج ذلك يا سيِّدى .. لا أحد .

وكان على حق ..

لا أحد يمكنه أن يستنتج أين ستكون الضربة القادمة ..

ـ لا أحد قطُّ ..

* * *

استوقف جندى الحراسة ، على باب مديرية أمن (القاهرة) ، ذلك الشاب المفتول العضلات ، الذى صعد فى درجات سلم المبنى فى هدوء ، وقال له فى حزم :

ـ من أنت أيها السيِّد ؟.. وما الذى يدعوك إلى زيارة مديرية الأمن ، فى مثل هذا الوقت ؟

حدَّق الشاب فى وجهه فى دهشة ، وقال :

ـ مديرية الأمن ؟!.. أين مديرية الأمن هذه ؟

أجابه الجندى فى حدة :

ـ إنك تقف داخلها .

تلفَّت الشاب حوله فى ذعر ، وهتف :

ـ داخلها .

ثم تراجع ، مستطردًا فى خوف :

ـ معذرة أيها الشاويش .. لقد ظننته فندقًا فاخرًا .

هتف الجندى مستنكرًا :

ـ فندق أيها التافة ؟!

ارتبك الشاب وتلعثم ، على الرغم من بنيانه القوى ، وذلك الشارب الضخم ، الذى يملأ نصف وجهه ، وقال وهو يتراجع :

ـ معذرة .. معذرة .. إننى لست من أبناء القاهرة ، وأنا أبحث عن فندق من ساعة ، وأنت ترى كم هى ثقيلة تلك الحقيبة ، التى أحملها وأدور بها طيلة الوقت .

أشار الجندى إلى شارع قريب ، وقال :

ـ اذهب هناك .. ستجد فندقًا خلف هذا المبنى .

هتف الشاب فى لهفة :

ـ حقًّا .. شكرًا لك .. شكرًا .

ثم انحنى ليحمل حقيبته ، إلا أنه لم يلبث أن تردَّد لحظة ، وعاد يسأل الجندى فى قلق :

ـ أأنت واثق من أنه هناك فندق ؟

هتف الجندى :

هتف الجندى مستنكرًا : ــ فندق أيها التافه ؟!

ارتبك الشاب وتلعثم ، على الرغم من بنيانه القوى ..

ــ بالطبع يا رجل .. إننى أعمل هنا منذ عشرين عامًا ، وأحفظ المنطقة عن ظهر قلب .

غمغم الشاب فى تردد :

ــ ولكننى أخشى أن ...

قاطعه الجندى فى حدة :

ــ قلت لك أنه يوجد فندق هناك .

قال الشاب باستعطاف يثير الشفقة :

ــ حسنًا يا شاويش .. سأذهب إلى هناك ، ولكن أرجوك ، احتفظ لى بتلك الحقيبة إلى جوارك ، حتى أسأل عما إذا كانت هناك حجرات خالية أم لا ، فلم أعد أحتمل حملها .

نقل الجندى بصره بين الشاب والحقيبة ، ثم قال بتلك الشهامة المصرية المعهودة :

ــ حسنًا .. اتركها .. ولكن لا تتأخر فى استعادتها ، فستنتهى نوبتى بعد نصف الساعة .

تهلّلت أسارير الشاب ، وهو يقول :

ــ سأذهب وأعود على الفور .

أسرع يهبط فى درجات السُّلم ، ولم ينسَ عندما بلغ نهايتها ، أن يلتفت مرة أخرى إلى الجندى ، مكرّرًا .

ـ سأعود على الفور .

تابعه الجندى ببصره ، وهو يسير بخطوات سريعة نحو ذلك الشارع ، الذى يقود إلى الفندق ، ثم تطلّع مرة أخرى إلى الحقيبة ، وعاد يقف تلك الوقفة العسكرية الثابتة ..

أما الشاب ، فقد اتجه إلى ذلك الشارع حقًا ، ومنه إلى الفندق ، ولكنه لم يدلف إليه ، بل تجاوزه ببضعة أمتار ، ليتوقّف أمام هاتف عمومى ، ويلقى داخله قطعة نقد فضيّة ، ثم ينتزع شاربه المستعار ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ـ مساء الخير يا أستاذ (عصام) .. هل تذكرنى ؟

أتاه صوت (عصام) ، وهو يقول فى حدة :

ـ لم أعتد نسيان الأوغاد أبدًا ، فصدى انفجاراتك ما زال يتردّد فى أذنىّ وعقلى .

أطلق (فتحى) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ استعد إذن لتملأ أذنيك بصدى انفجار جديد .. ولكنك لن تتوقّع أبدًا أين سيدوّى هذه المرة .. لن تتوقّع قطُّ ..

* * *

٨ ـ قبل الفجر ..

عضّ العقيد (خيرى) على شفتيه غيظًا ، وقاوم رغبته الشديدة فى البكاء ، وهو يتطلّع إلى مدخل مديرية أمن (القاهرة) ، وقد أصابه الانفجار بتلف شديد ، وصاح فى جندى الحراسة محنقًا :

ـ كيف تحتفظ بحقيبة تجهل محتوياتها وصاحبها أيها الجندى ؟

شحب وجه جندى الحراسة ، وهو يقول :

ـ لقد أشفقت على صاحبها يا سيّدى ، ولقد كان يبدو حائرًا مرتبكًا ، حتى أننى لم أشك لحظة فى أنه ..

قاطعه (خيرى) فى غضب :

ـ كان ينبغى أن تشك .. عملك هو أن تفعل .. موقعك هنا يعنى أن تستريب فى كل من تجهله .

تمتم الجندى فى شحوب :

ـ تمامًا يا سيّدى .

لوّح (خيرى) بذراعيه فى حنق ، وهو يهتف :

ـــ ما الذى كان يمكن أن يحدث ، لو أننى لم أصل فى الوقت المناسب ، بعد أن تحدَّث إلىّ (عصام) هاتفيًا ؟!.

تمتم الجندى ممتقعًا :

ـــ كنت سأصبح أنا وزميلى فى خبر كان يا سيِّدى .

صاح (خيرى) غاضبًا :

ـــ أرأيت حجم الخطأ ؟.. هل أدركته ؟

تمتم الجندى فى مرارة :

ـــ أدركته يا سيِّدى .

هتف (خيرى) فى حنق :

ـــ بعد فوات الأوان للأسف .

ثم صاح فى وجهه مستطردًا :

ـــ اغرب عن وجهى ، واستعد لمحاكمة عسكرية قريبًا .

صار وجه الجندى أقرب إلى القطن الأبيض ، وهو يغمغم :

ـــ كما تأمر يا سيِّدى .

وأسرع يبتعد ، وهو يلعن الشهامة والشباب ، والحقائب ، وكل ماله أدنى صلة بما حدث ، ولكن (خيرى) ، عاد يستوقفه ، هاتفًا :

ـــ لحظة أيها الجندى ، عد إلى هنا .

هبط قلب الجندى بين قدميه ، وعاد إلى (خيرى) شاحبًا ، مغمغمًا :

ـــ أمرك يا سيِّدى .

أخرج (خيرى) من جيبه عدة صور فوتوجرافية ، وضعها أمام وجه الجندى ، وهو يقول :

ـــ هل يشبه ذلك الشاب ، الذى ترك لك الحقيبة المتفجِّرة ، أيًا من هذه الصور ؟

أدار الجندى عينيه فى الصور فى سرعة ، ثم توقَّف عند إحداها ، وقال فى تردّد :

ـــ لو أننا أضفنا شاربًا ضخمًا إلى هذا ، فربما ..

هتف (خيرى) فى حزم :

ـــ لا أريد ربّما .. هو أم ليس هو ؟

عقد الجندى حاجبيه ، وهو يتأمّل الصورة فى تمعن ، ثم أجاب فى حزم :

ـــ هو يا سيِّدى .

تبادل (خيرى) نظرة لهفة مع (عصام) ، الذى لزم الصمت طيلة الوقت ، ثم سأل الجندى فى انفعال :

ـــ أأنت واثق ؟

أجابه الجندى فى حزم :

ـــ تمام الثقة يا سيّدى .

هتف (خيرى) فى انفعال :

ـــ سيكون من حسن حظك أن يكون هو ، فلو كنت على حق ، فربما ألغيت محاكمتك العسكرية .. بل ربما نلت بدلًا منها وسامًا .

اتسعت عينا الجندى ، وخيّل إليه أنه قد أخطأ السمع ، فغمغم فى دهشة :

ـــ وسام ؟!

صاح به (خيرى) :

ـــ نعم .. وسام .. وسام أنيق مستدير ، يتدلّى منه شريط ملوّن ، تزين به صدرك ، فى الاحتفالات الرسمية .. ألا تعرف ما هو الوسام ؟

غمغم الجندى بمزيد من الحيرة :

ـــ بل أعرفه يا سيّدى ، ولكن .

لوّح (خيرى) بكفه هاتفًا :

ـــ لا يوجد لكن .. لقد انتهت مهمتك .. هيّا اذهب .. اذهب بعيدًا .

أسرع الجندى يبتعد مرّة أخرى ، وقد خامره شعور بأن كل ضباط المباحث الجنائية مصابون بالجنون ، فى حين هتف (عصام) فى انفعال :

ـــ من هذا ، الذى تعرّفه الجندى ؟

أجابه (خيرى) فى انفعال مماثل :

ـــ هذه الصور هى صور كل خبراء التفجير ، فى جمهورية مصر العربية ، ولقد تعرّف ذلك الجندى أحدهم ، وهذا يعد أوّل خيط ، يُمكن أن يقودنا إلى الحل .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـــ ما اسمه ؟!

أجابه (خيرى) فى حماس :

ـــ اسمه (فتحى) .. (فتحى عز الدين) ..

* * *

انعقد حاجبا (عطا) فى حدة ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ كيف فعلت هذا أيها الغبى ؟!.

هتف (فتحى) فى حنق :

ـــ ماذا أصابك ؟.. كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذه اللهجة ؟

جذبه (عطا) من سترته ، وهو يصيح غاضبًا :

جذبه (عطا) من سترته ، وهو يصيح غاضبًا :

ــ اجرؤ ؟! ألا تدرك ما فعلته ؟!.. لقد افسدت خطتى ..

ــ أجرؤ ؟!.. ألا تدرك ما فعلته ؟!.. لقد أفسدت خطتى .. أفسدتها تمامًا .

صاح (فتحى) معترضًا :

ــ كيف تقول هذا ؟.. لقد طلبت منّى أن أضع الحقيبة إلى جوار مديرية الأمن وأبتعد ، ولقد وجدتها خطة تافهة ، لا تتناسب مع عبقريتك ، وأردت أن أثبت لك أننى عبقرى مثلك ، فى هذا المجال ، فوضعت خُطَّة أكثر جُرأة ، و .....

قاطعه (عطا) فى غضب :

ــ وماذا أيها الغبى ؟.. خطتك السخيفة هذه جعلت جندى الحراسة يرى وجهك ، ويتعرَّفك .

هتف (فتحى) :

ــ لقد كنت متنكرًا .

صاح (عطا) فى حنق :

ــ بذلك الشارب الأبله .. إنه تنكر تافه ، يجعل بوسع أى أعمى أن يتعرَّفك ، حتى ولو نبت لك شارب حقيقى .

وضرب الحائط بقبضته فى حنق ، قبل أن يستطرد فى عصبية :

ــ سيتعرَّفك الجندى ، ويصفك ، ويقودهم هذا إلى معرفة

شخصيتك ، وينهار كل ستار الأمن ، الذى بذلت كل عبقريتى لصنعه ، وإسداله على خطتنا .

هزَّ (فتحى) كتفيه ، وقال معترضًا :

ـــ ليس من السهل أن يتوصّلوا إلىَّ ، بمجرَّد وصف .

صاح (عطا) غاضبًا :

ـــ بمجرَّد وصف ؟!.. يبدو أنك لا تقدّر ذكاءهم ، تتصورّهم مجموعة من الصبية ، مثل أولئك الذين كنت تعبث معهم فى طفولتك .. كلَّا .. أفق يا رجل .. لا ريب أنهم قد أدركوا ، منذ وقت طويل ، أنهم يواجهون محترفًا ، وخبيرًا فى التفجير ، ولن يصعب عليهم الحصول على صورتك ، التى سيتعرّفها جندى الحراسة .

شحب وجه (فتحى) ، وقد اتضحت له هذه الحقيقة بغتة ، وتمتم فى توتر :

ـــ يا للشيطان !!.. ماذا نفعل إذن ؟

أجابه فى حدة :

ـــ لابد أن نختصر زمن الخطة ، وأن ننتقل من مرحلة المحاورة إلى مرحلة الحسم .

سأله (فتحى) فى انفعال :

ـــ هل سننتقل مباشرةً إلى عملية مدينة (نصر) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـــ نعم .. لم يعد أمامنا سوى أن ننتقل إليها .. وقبل الفجر .

ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وهو يكرّر :

ـــ نعم .. قبل الفجر ..

* * *

انتهى العقيد (خيرى) من إلقاء أوامره إلى رجاله ، ثم التفت إلى (عصام) ، وقال :

ـــ هيا بنا .. سنذهب على الفور إلى هذا الرجل .

تبعه (عصام) إلى سيارة الشرطة ، وسأله وهى تنطلق بهما :

ـــ أتعلم أين يقيم ؟

أجابه فى توتر :

ـــ إنه يقيم وحده ، فى منزل حديث ، فى حى (العباسية) ، ولقد كان أحد خبراء التفجير المعدودين ، لولا أن اتهم فى قضية عجز فى المواد المتفجرة ، أدت إلى فصله من صفوف الجيش .

تنهَّد (عصام) ، وقال :

ـــ كم أتمنى أن يكون هو الرجل المنشود .

أجابه (خيرى) فى حزم :

ـــ إنه هو .

لم يكد يتم عبارته حتى ارتفع رنين الهاتف ، فى سيارة الشرطة ، وأضاء مصباح أحمر صغير إلى جواره ، فعقد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ هذه المحادثة لك .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ لى أنا ؟!

أجابه فى حزم :

ـــ نعم .. لك أنت ، فهؤلاء الأوغاد لا يتصلون سوى بك ، ولقد خشيت أن يفكّروا فى إبلاغك بموقع وتوقيت قنبلة جديدة ، فى وقت تكون فيه خارج منزلك ، فنجهل أمرها ، وتنفجر ، مما يؤدى إلى بعض الأضرار ، فى الأرواح والمعدات ؛ لذا فقد طلبت من رجال السنترال تحويل مكالماتك إلى هنا آليًا ، وهذا المصباح الأحمر يعنى أنها مكالمة محوّلة .

التقط (عصام) سمّاعة الهاتف ، وهو يغمغم :

ـــ يا له من ذكاء !!

ثم قال فى صرامة :

ـــ هنا (عصام كامل) .. من المتحدث ؟

أتاه صاحب الصوت الخشن ، يقول :

ـــ أأنت الآن فى منزلك ؟

أجابه (عصام) فى سخرية :

ـــ بأى رقم اتصلت إذن ؟

أتاه الصوت يقول فى عصبية ، لم تكتنف صوته من قبل :

ـــ غادره إذن .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

أجابه صاحب الصوت فى حدة :

ـــ لأن قنبلتنا التالية ستنفجر هناك ، فى منزلك بمدينة (نصر) ..

ستنفجر بعد ساعتين بالضبط .

ألقى (عصام) سمّاعة الهاتف ، والتفت إلى (خيرى) ، صائحًا فى ذعر :

ـــ إنهم سيفجرون منزلى .

اتسعت عينا (خيرى) ، وهتف فى سائق السيارة :

ـــ دعك من عملية (العباسية) ، وانطلق على الفور إلى مدينة (نصر) .. هيا .. أسرع ، قبل أن تحدث المذبحة .. أسرع بالله عليك .

* * *

٩ ــ العملية الحقيقية ..

أصيب سكان ذلك الحى ، فى مدينة (نصر) ، بذعر حقيقى ، عندما فوجئوا برجال الشرطة يطلبون منهم إخلاء منازلهم ، فى منتصف الليل ، وتحوَّل ذعرهم إلى ضجيج وهرج ومرج ، عندما امتلأت بهم شوارع الحى ..

وعلى وجه السرعة ، وصلت سيارة خبراء المتفجرات ، وصعد رجالها إلى منزل (عصام) ، حيث كان هو هناك ، مع العقيد (خيرى) ، الذى قال للخبراء فى توتر :

ــ افحصوا كل شبر بالبيت .. كل ركن .. حتى السقف والحوائط ، فالقاعدة عند أولئك الأوغاد ، هى أن تهديدهم صادق دومًا ، وما داموا قالوا إنّ هناك قنبلة هنا ، ستنفجر فى الواحدة والنصف ، فهى هنا حتمًا ، ولكننا لا ندرى قوتها ، فهى قد تكون شديدة العنف ، كقنبلة المستشفى ، أو ضعيفة ، كقنبلة مكتبة الأطفال ، وفى كل الأحوال ، وأيًا ما كانت الاحتمالات ، فقد أخلينا المنازل المحيطة من السكان ، ومنعنا مرور السيارات بالمنطقة ، وعليكم أنتم أن تجدو القنبلة ، ومن

حسن الحظ أن الوقت أمامنا كاف هذه المرة ، على عكس المرات السابقة .

غمغم (عصام) فى حيرة :

ــ نعم .. على عكس المرات السابقة .

انتشر رجال المفرقعات فى المنزل ، يفحصون كل شبر فيه بمعنى الكملة ، وهم يحملون أحدث الأجهزة فى هذا المجال ، وقال (عصام) فى لهجة غامضة ، وكأنه يتحدَّث إلى نفسه :

ــ عجبًا !!.. أولئك الأوغاد ينفقون الكثير ، لمهاجمتى أنا وحدى ، ويستخدمون أجهزة حديثة غالية الثمن ، ولكنهم فى الوقت ذاته يحرصون على حياتى ، كما لو أنهم من أصدق أصدقائى .

التفت إليه العقيد (خيرى) ، يسأله فى دهشة :

ــ ماذا تقول ؟

ارتفع صوت (عصام) ، وهو يقول :

ــ أقول إن الأمر كله غامض وغريب .

هتف (خيرى) فى حدة :

ــ بالطبع .. ليس من المألوف أن يعبث بعضهم بالقنابل فى (مصر) .

لوّح (عصام) بكفه ، قائلًا :

ـــ ليس هذا ما أقصده ، وإنما أقصد كل هذه السلسلة من المتناقضات .. إن الأمر يبدو كما لو أن هؤلاء الأوغاد يقصدوننى أنا بالذات ، إلا أنهم ـــ فى الوقت ذاته ـــ يسعون دومًا لتحذيرى مسبقًا ، وكأنما يخشون أن أقع ضحية أفعالهم .

غمغم (خيرى) فى توتر :

ـــ إنها لعبة القط والفأر .

هتف (عصام) :

ـــ لماذا لم تكتمل تلك اللعبة إذن ؟

سأله (خيرى) فى دهشة :

ـــ ماذا تعنى ؟!

قال (عصام) فى اهتمام بالغ :

ـــ فى لعبة القط والفأر ، يلهو القط بصيده طويلًا ، فيعابثه ، ويترك له فرصة الفرار ، لينقض عليه فى اللحظة الأخيرة ، فى كل مرة ، ولكن عندما تحين اللحظة الحاسمة ، فهو يباغته بانقضاضة سريعة ، ويلتهمه بلا رحمة ، دون أن يترك له فرصة الفرار .

عاد (خيرى) يسأله فى توتر :

ـــ مرة أخرى ماذا تعنى ؟

تنهّد (عصام) ، وقال فى اهتمام :

ـــ أعنى ببساطة أن ما يحدث الآن لا يتفق مع قواعد اللعبة ، ففى المرحلة التى لا ينبغى فيها ترك أية فرصة للصيد ، خشية أن يفلت من الفخ ، بعد أن أوشك على إطباق فكيه عليه ، نجد القط يرخى له الحبل تمامًا ، فيمنحه ساعتين كاملتين للبحث عن القنبلة ، والعثور عليها ، والنجاة منها .

هتف (خيرى) :

ـــ أتعنى أنهم قد أعطونا توقيتًا خاطئًا ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـــ بل أعنى أنهم قد قادونا إلى هدف خاطئ .

ردّد (خيرى) فى دهشة بالغة :

ـــ هدف خاطئ ؟

قال (عصام) ، وقد تسلّل إليه الانفعال :

ـــ نعم .. هذا هو ما يخططون له ، منذ هذا الصباح .. منذ بدأت لعبتهم .. أن يربكونا بسلسة أحداث عنيفة وسريعة ومتلاحقة ، وكلها تسير على نسق واحد ، بحيث نقنع بصدق تهديدهم دومًا ، وعندما تحين اللحظة المطلوبة ، يرسلوننا جميعًا

إلى هدف زائف ، حتى يخلو لهم الجو تمامًا ، للانقضاض على الهدف الحقيقى .

أمسك العقيد (خيرى) ذراع (عصام) فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

ــ (عصام) .. هل تحاول وضع فرض جدلى ، مجرَّد التشبه بـ (عماد) و (غلا) .

هتف (عصام) فى حماس :

ــ مطلقًا .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردًا :

ــ ولكن يبدو أن عقلى قد استجاب لتعاليمهم فى النهاية .

وأمسك هو بذراعى (خيرى) فى قوة ، وهو يتابع فى انفعال شديد :

ــ حاول أن تفكّر معى ، وتبحث عن الهدف الحقيقى .

غمغم (خيرى) فى ضيق :

ــ هذا لو أنه هناك هدف حقيقى .

هتف (عصام) :

ــ بالطبع هناك هدف حقيقى ، والوصول إلى هذا الهدف يستلزم جذب انتباه رجال الشرطة بعيدًا ، تمامًا كما يحدث

الآن .. إنكم جميعًا تتطلّعون إلى منزلى ، وتحيطون به ، وتخلون كل المنازل من السكّان ، خشية أن يصيبهم انفجار المنزل بالضرر ، فكيف يمكن أن تفيد كل تلك الإجراءات هؤلاء الأوغاد ؟

غمغم (خيرى) فى ضجر ، وهو لا يقتنع بكلمة واحدة ، مما ينطق به (عصام) :

ــ أخبرنى أنت .

ترك (عصام) ذراعيه ، ولوَّح بكفه ، قائلًا :

ــ إن إخلاء المنازل فرصة مناسبة ، للتسلل إليها ، وسرقة كل محتوياتها ، مما خفّ حمله ، وغلا ثمنه ، ولكنه أمر محفوف بالمخاطر ، مع وجود رجال الشرطة حول هذه المنازل ، ثم إن حصيلة مثل هذه العملية ، لن تتناسب مع حجم المخاطرة فيها ، ولا مع كل هذا الإعداد ، خاصّة وأنه من الطبيعى أن يحمل كل ساكن معه أثمن مقتنياته ، عندما يعلم أنه يخلى منزله ، وهو مهدّد بتعرّضه للانهيار .. لابد من وجود غنيمة مثالية إذن ، و .....

اتسعت عيناه فجأة ، والتهبتا ببريق عجيب ، قبل أن يمسك كتفى العقيد (خيرى) ، ويهتف فى حماس :

ـ لقد فعلتها .. لقد توصّلت إلى الحل وحدى .. لقد عرفت ما هو هدف هؤلاء الأوغاد الحقيقى .. لقد أدركت الهدف الحقيقى ..

* * *

١٠ ـ المواجهة ..

تلفّت (فتحى) حوله فى توتر ، وهو يقول :

ـ أأنت واثق من أن أحدًا لن يهاجمنا الآن ، أو يسألنا عما نفعله هنا ؟

ابتسم (عطا) فى ثقة ، وقال :

ـ تمام الثقة يا رجل ، فكلهم الآن فى الناحية الأخرى ، يبحثون عن القنبلة .

كان يقول هذا ، وهو منهمك فى إبطال مفعول جهاز إنذار حديث ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وتنهّد فى ارتياح ، مستطردًا :

ـ أرأيت ؟.. لقد أبطلت مفعوله .

هتف (فتحى) فى حماس :

ـ رائع .

أشار (عطا) إلى رأسه ، وهو يقول فى زهو :

ـ ينبغى أن تعترف لى بالعبقرية ، فى هذا المجال أيضًا يا صديقى ، وليس فى التخطيط فحسب .

قال (فتحى) فى لهفة :

ــ أنت تستحق ذلك فى الواقع ، فأنت عبقرى فى التعامل مع الأجهزة الإليكترونية أيضًا .

ابتسم (عطا) فى فخر ، وهو يعالج رتاج الباب المعقّد ، ثم لم يلبث أن أزاحه ، ودفع الباب فى رفق ، فانفتح فى صمت وهدوء ، وتهلّلت أسارير (فتحى) ، وهو يهتف :

ــ لقد انتصرنا .. لقد نجحنا .

أجابه (عطا) فى لهفة ، وهو يندفع داخل المكان :

ــ ليس بعد .. ليس قبل أن نعبر الحدود .

اندفع (فتحى) خلفه إلى داخل المكان ، وأضاء مصباحه اليدوى الضخم ، ثم شهق فى انبهار ..

لقد انعكست آلاف الشموس الصغيرة ، مع ضوء مصباحه ..

آلاف القطع من الماس ، والمجوهرات الثمينة ..

أطنان من الذهب والفضة ..

وشهق مرة أخرى ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !!.. وكأنها مغارة (على بابا) .

هتف (عطا) مبهورًا :

ــ بل أروع .

سال لعاب (فتحى) ، وهو يدير عينيه فى تلك الثروة الهائلة ، قبل أن يهتف فى شراهة :

ــ أيمكننا أن نحصل عليها كلها ؟

أجابه (عطا) فى شبق :

ــ كنت أدفع عمرى كله مقابل هذا .. ولكنه مستحيل ، فنحن نحتاج إلى عربة مدرعة ، لنقل كل هذا .

ثم استطرد فى لهفة :

ــ هيّا .. عاونّى على نقل أكبر قدر ممكن إلى سيارتنا .. أسرع .

ضحك (فتحى) فى عصبية ، وقال :

ولِمَ العجلة ، ما زالت أمامنا ساعة ونصف ؟

راحا يحملان كل ما يسيل لعابهما ، وينقلانه إلى سيارتهما ، حتى بدا وكأن السيارة لن تحتمل أكثر ، فعادا إلى المكان ، وهتف (فتحى) فى لهفة :

ــ أيمكننى أن أحمل المزيد فى جيوب سترتى ؟

هزّ (عطا) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلّا .. لن تحتمل السيارة ، فهى مهيّأة لحمل نصف طن من البضائع ، وراكب واحد .

هتف (فتحى) فى دهشة :

ــ راكب واحد ؟!.. كيف ؟

تراجع فى ذعر ، عندما فوجئ بشريكه يصوّب إليه مسدسا ، وهو يبتسم ابتسامة مخيفة ، فهتف منزعجًا :

ــ (عطا) .. إنها دعابة سخيفة .

أجابه (عطا) فى هدوء :

ــ إنها ليست دعابة يا شريكى .

حدّق (فتحى) فى وجهه بذهول ، ونقل عينيه منه ، إلى فوهة المسدس ، قبل أن يهتف فى صوت مختنق :

ــ هل جننت ؟

هزّ (عطا) رأسه نفيًا ، وقال بهدوئه المعهود :

ــ على العكس يا شريكى الغبى .. إننى سأستحق أن أوصف بالجنون حقًا ، لو أننى أكملت رحلتى معك .

هتف (فتحى) :

ــ ولكننا شريكان !!

أجابه (عطا) فى برود :

ــ كنا كذلك ، حتى نقضت أنت اتفاقنا .. لقد كان المفروض أن تطيعنى طاعة عمياء ، وأن تنفذ كل ما آمرك به ، ولكنك أردت أن تعمل بوحى من عقلك الغبى وحده ، فانكشف أمرك ، وصرت مطلوبًا .

هتف (فتحى) فى ذعر :

ــ إننا لم نتأكّد من هذا بعد .

هزّ (عطا) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لن أخاطر يا صديقى .. لقد اعتدت أن تكون كل خططى هكذا دائمًا ، بلا ثغرات .. وأنت الآن ثغرة .. ثقب فى جدار محكم ، والوسيلة الوحيدة لمنع ذلك الجدار من الانهيار ، هى أن نزيل هذا الثقب .. وهذا ما سأفعله بكل بساطة .

احتقن وجه (فتحى) غضبًا ، وهو يهتف :

ــ لا ترتكن إلى تلك الحجة .. إنك تخطّط لقتلى منذ البداية .

أجابه فى هدوء :

ــ كلّا يا صديقى .. أنت مخطئ .. إننى لم أخطّط لقتلك أبدًا ، إلا عندما أقدمت على حماقتك تلك ، فى أثناء عملية مديرية الأمن .

ثم أشار إلى الخارج ، مستطردًا بنفس الهدوء :

ــ أتدرى كم تحمل السيارة فى الخارج ؟.. إنها تحمل ما قيمته عشرون مليونًا من الجنيهات ، وهو مبلغ يكفى رجلين ، للعيش

فى رخاء ونعيم مدى الحياة ، ولست شرها إلى الحد الذى تظنه ، ولكن حماقتك هى التى ..

قاطعه (فتحى) فى حدة :

ــ حماقتى ؟!.. كفى أيها القذر .. لا تحاول إقناع نفسك بتلك الحجة الواهية ، ولتعلم أنك لن تجرؤ على قتلى ؛ لأننى أستطيع أن أنقضّ عليك ، وأحطّم عنقك ، قبل أن تضغط زناد مسدسك ، ثم إنك ستخشى إطلاق النار ، حتى لا ينتبه رجال الشرطة ، الذين يحتشدون خلف المبنى ، إلى ما يحدث فيه .

هزّ (عطا) رأسه فى أسف ، وقال :

ــ أخطأت مرة أخرى يا رجل .. إنك لن تبلغ أبدًا سرعة رصاصة ، مهما بلغت سرعتك ، ثم إن مسدّسى هذا مزوّد بكاتم للصوت ..

ألم تلحظ هذا ؟

انعقد حاجبا (فتحى) فى غضب ، وانقبضت قبضته ، وهو يهتف :

ــ ولكننى سأقتلك أيها الحقير .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

وأطلق صرخة غاضبة ، قبل أن ينقضّ على (عطا) ..

ولكن دويًّا مكتومًا صدر من فوهة مسدس هذا الأخير ..

وتهاوى على ركبتيه أمام (عطا) ، الذى بقى هادئًا ، مصوبًا مسدسه إليه ، فهتف (فتحى) ساخطًا : ــ أيها الحقير ..

واتسعت عينا (فتحى) فى ألم واستكار ، وتهاوى على ركبتيه أمام (عطا) ، الذى بقى هادئًا ، مصوبًا مسدسه إليه ، فهتف (فتحى) ساخطًا :

ــ أيها الحقير .

ثم سقط عند قدميه جثة هامدة ..

ومضت لحظات من الصمت ، ثم أطرق (عطا) بوجهه ، مغمغمًا فى لهجة يغلب عليها الحزن :

ــ معذرة يا صديقى .. معذرة .. أنت أجبرتنى على ذلك .

ارتجف جسده كله فى قوة ..

بل انتفض فى عنف ، عندما سمع صوتًا قويًا ، يقول فى حزم :

ــ مشهد مؤثر للغاية .

رفع عينيه أمامه فى ذعر وسرعة ، وارتفعت معها فوهة مسدسه ، ثم لم يلبث جسده كله أن تجمّد فى دهشة ، فقد رأى أمامه فوهة مسدس آخر ، وخلفها وجه العقيد (خيرى) الصارم ، وإلى جواره يقف (عصام) ..

وكانت المواجهة ..

* * *

مضت لحظات من صمت مشوب بالذهول ، و (عطا) ينقّل بصره ما بين وجهى (عصام) والعقيد (خيرى) ، قبل أن يغمغم :

ــ ولكن كيف ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ لقد كانت خُطتك مُحكمة حقًا يا رجل .. ولكنها كانت تحوى ثغرة واحدة .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردًا :

ــ هذا .

عقد (عطا) حاجبيه فى قوة ، وتطلّع إلى (عصام) فى تساؤل ، وكأنه لم يفهم معنى إشارته ، فتابع (عصام) فى هدوء :

ــ العقل .. لقد نسيت أنه توجد فى هذا العالم عقول أخرى ، يمكنها أن تفهم ما تقصده .

ارتجفت شفتا (عطا) لحظات ، قبل أن يخرج صوته من بينهما مختنقًا ، شاحبًا ، وهو يقول :

ــ ولكن كيف ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـــ كنت أتساءل عن السبب فى تركك لنا مهلة زمنية طويلة ، فى هذه المرة بالذات ، ثم انتبهت إلى أن كل رجال الشرطة يحتشدون عند منزلى ، وقد أخلوا المنطقة تمامًا ، وهذا يعنى أن كل ما خلف منزلى خالٍ ، يحكم انتمائه إلى الحى نفسه ، ويفتقر إلى الحراسة أيضًا ؛ لأنه خلف منطقة الخطر الموهومة .. وهنا تذكّرت فجأة متجر المصوغات والمجوهرات ، الذى بدا لى مثاليًا تمامًا ، كهدف لكل هذه اللعبة .

أضاف العقيد (خيرى) فى حزم :

ـــ ولقد أتينا إلى هنا ؛ لنضبطك متلبسًا بجريمة قتل ، تضاف إلى كل جرائمك السابقة .

اغرورقت كلمات (عطا) بالدموع ، وهو يتطلّع إلى جثة شريكه ، مغمغمًا فى لهجة تحمل كل معانى الضياع :

ـــ جريمة قتل !!

وعندما رفع عينيه إلى (عصام) و (خيرى) ، كانتا ممتلئتين بالدموع ، وهو يستطرد :

ـــ لقد حاولت بشدة ألا ألوّث تلك العملية بالدم .

غمغم (عصام) فى توتر :

ـــ ولكنك فعلت .. لقد لوّثتها أوّلًا بدم (حازم) ثم بدم شريكك فيما بعد .

وارتفع صوت العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ وهذا يعنى أن الإعدام شنقًا هو مصيرك حتمًا .

اتسعت عينا (عطا) فى ذعر ، وهو يهتف :

ـــ الإعدام شنقًا .

وفجأة أطلّت من عينيه نظرة حيوان مفترس ، وهو يستطرد صارخًا :

ـــ مستحيل .

وبحركة سريعة للغاية ، ارتفعت فوهة مسدسه نحو العقيد (خيرى) ..

وأطلق النار ..

* * *

١١ ــ الختــام ..

كان ذلك التبدّل فى انفعالات (عطا) مباغتًا حقًّا ، حتى أن العقيد (خيرى) لم يستطع تفادى الرصاصة ، التى أصابت كتفه ، وأطارت مسدسه ، وألقت به هو إلى الوراء فى عنف ، والدماء تندفع من جرحه ..

واستدارت فوّهة المسدس إلى (عصام) ، الذى هتف فى ذعر :

ــ يا إلهى !!

ولكن تأثير المفاجأة كان قد تلاشى تقريبًا ، مما ساعده على أن ينحنى فى اللحظة المناسبة ، متفاديًا الرصاصة الثانية ، وملقيًا نفسه إلى جوار العقيد (خيرى) ، خلف حاجز من ديكورات المتجر ..

وبدلًا من أن يندفع (عطا) هاربًا ، مستغلًا الفرصة ، راح يصرخ فى جنون :

ــ مستحيل !!.. لن يوقفنى أحد ، بعد أن بلغت هذه المرحلة .. مستحيل .. إنها أفضل خطة سرقة فى القرن العشرين .. أفضل لعبة مدروسة .

هتف (عصام) من مكمنه :

ــ إنها ليست الأفضل حتمًا ؛ لأنها فشلت .

صرخ (عطا) :

ــ لم تفشل .. لم تفشل بعد ..

هتف (عصام) :

ــ بل فشلت ، ما دام أمرك قد انكشف .

صرخ (عطا) فى هياج وحشى :

ــ كل هذا يمكن تلافيه ، فلا أحد يعلم سرى سواكما .

قال هذا ، وجذب مشط مسدسه ، مستطردًا فى شراسة :

ــ وبقتلكما تعود الخطة إلى مسارها الطبيعى .

سمع (عصام) وقع أقدامه تقترب ، فهتف فى توتر :

ــ كم من الثقوب ستصلح ، حتى تعود خطتك إلى مسارها ؟

أجابه فى حدة :

ــ لم يعد هناك سوى ثقبين فحسب .

رفع (عصام) رأسه من خلف الحاجز قليلًا ؛ ليلقى نظرة على وجه خصمه ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى شعر برعب حقيقى ، فقد كانت عينا (عطا) تحملان نظرة جنون حقيقية ..

لقد جن الرجل ..

قتله لشريكه ، وتحطم خطته فى اللحظة الأخيرة أطاشا صوابه ..

فقد عقله ..

انهار ..

وكان هذا يعنى أن (عصام) و (خيرى) يواجهان رجلًا مجنونًا ..

وتراجع (عصام) فى ذعر ، وسمع تأوهات العقيد (خيرى) ، الذى استعاد وعيه ، وهو يتمتم :

ــ ماذا حدث ؟

كاد (عصام) يجيب ، ولكن إجابته جاءت على هيئة شهقة قوية ، عندما أطلّ وجه (عطا) بغتة ، وهو يحمل ابتسامة جنونية ، ويهتف :

ــ لقد ظفرت بكما .

تراجع (عصام) فى ذعر ، وهو يهتف :

ــ كلّا .. لا تفعل .. إنك تتورّط فى جريمة قتل .. إنك ..

صاح (عطا) فى جنون :

ــ اللعنة .. فلتذهبا إلى الجحيم .. إلى الجحيم ..

وارتفعت فوهة المسدس القاتل ، واتجهت نحو رأس (عصام) ..

نحو رأسه تمامًا ..

* * *

فجأة لمست أصابع (عصام) جسمًا باردًا ..

وفجأة أيضًا ، أدرك ماهيته ..

لقد كان مسدسًا ..

مسدس العقيد (خيرى) ، الذى فقده عند إصابته بالرصاصة ..

ودون تفكير ، وإزاء خطورة الموقف ، أحاطت أصابع (عصام) بمقبض المسدس ، ورفعه عن الأرض فى سرعة ، وأطلق منه رصاصة نحو (عطا) ، قبل أن يضغط هذا الأخير زناد مسدسه بلحظة واحدة ..

ورأى (عصام) رصاصة مسدسه تلقى خصمه إلى الخلف ، فهتف فى توتر :

ــ يا إلهى !!.. يبدو أننى قد قتلته .

إلا أن (عطا) نهض واقفًا بسرعة ، وراح يجذب ساقه المصابة فى صعوبة ، متجهًا نحو باب المتجر ، وقد أدرك ، على

الرغم من ذلك الجنون الذى أصابه ، أن خصمه قد تساوى معه فى القوة ، بعد أن عثر على المسدس ، ولأن صوت رصاصة مسدس خصمه ، الذى لم يكن مزوّدًا بكاتم للصوت ، قد بدا وسط الصمت والسكون كالقنبلة ..

وهتف العقيد (خيرى) ، وهو يتحامل على نفسه ليقف :

ــ لا تتركه يفر يا (عصام) .. أوقفه .

صاح (عصام) ، وهو ينهض من مكانه :

ــ قف يا رجل .

ولكن (عطا) استدار إليه ، وأطلق نحوه رصاصتين ، تفاداهما (عصام) بانحنائه سريعة ، فى حين اختفى (عطا) خارج المتجر ، فعاد العقيد (خيرى) يهتف فى حدة :

ــ لا تتركه يفر .

تطلّع (عصام) إلى العقيد (خيرى) فى توتر وتردّد ، فاستطرد هذا الأخير فى حزم :

ــ إننى ألقى المسئولية على عاتقك .

تردّد (عصام) لحظة أخرى ، ثم أومأ برأسه إيجابًا ، واندفع خلف (عطا) ، ورآه يهم بركوب سيارته ، فصوّب المسدس إليه ، وقال فى حزم :

ــ انتهت اللعبة يا رجل .. من الأفضل لك أن تستسلم .

هتف (عطا) فى مرارة ، وهو يشير إلى سيارته :

ــ اتركنى أذهب .. أتركنى وأمنحك ما يبلغ ثمنه مليون جنيه .

قال (عصام) فى صرامة :

ــ استسلم .

هتف (عطا) فى حدة :

ــ خذ مليونين .. ثلاثة .. بل خذ عشرة ملايين .. نصيب (فتحى) كله .. لا تجعلنى أخسر كل ما فعلته .. إننى لم أضع قنبلة فى منزلك .. أقسم لك .

قال (عصام) فى صرامة أشد :

ــ ستخسر يا رجل .. ستخسر ؛ لأنك لم تجنّد عقلك للخير .

صرخ (عطا) فى غضب :

ــ لن أخسر .. لن أخسر أبدًا ..

ثم رفع فوهة مسدسه فى وجه (عصام) ..

وكانت لحظة الحسم ..

لحظة لا يقرّرها عقل أو منطق ..

لحظة تتبع غريزة واحدة ..

عزيزة البقاء ..

ودون أن يفكّر (عصام) ، ضغط زناد مسدسه .. ضغطه أوّلًا ..

ورأى الدماء تندفع من صدر خصمه ، الذى جحظت عيناه ، وتمتم ومسدسه يسقط أرضًا :

ــ صدقت .. لقد خسرت .

ثم هوى جثة هامدة ..

ووصل رجال الشرطة فى اللحظة نفسها ، بعد أن جذبهم صوت الرصاصة الأولى ، وازدحم المكان بهم فجأة ، مع مغادرة العقيد (خيرى) للمتجر ..

وبهذا المشهد الصامت المكتظ ، بلغت تلك القضية نهايتها ..

نهاية قنبلة زمنية ..

* * *

[تمت بحمد الله]

مغامرات

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب

تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية القنبلة الزمنية

* عصابة مجهولة ، تفجر عشرات القنابل الزمنية خلال يوم واحد ، ولغرض مجهول .. ترى من يفعل هذا .. ولماذا؟!

* ترى كيف يواجه الصحفي (عصام كامل) هذه القضية الجديدة .

* اقرأ التفاصيل المثيرة ، واستمتع بالبحث عن حل اللغز .. قبلهم ..

العدد القادم

(قضية الوحش)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم